٧٢ liilas.com/vb3
mjerko
مجلة
روايات أحلام

أميرة النهار

مجلة روايات أحلام

أميرة النهار

أعطني حلماً واحداً وخذ ما تريد . . . أعطني خفقة قلب صادقة واتركني بعدها مع ذكرياتي !

لم تكن شيلا ملكاً لأحد ، كان جمالها وحده هو ما تهبه لعيون الرجال الولهى ، ولكن قلبها ظل مغلقاً حتى أمام خطيبها المتيّم . . .

ثم شاهدها شين وود وقرّر : ستكونين ملكي !

لم يهتم بوجود خطيبها ، لم يهتم بسمعتها ، لم تهمه مشاعرها ، كما لم يهتم في السابق بمشاعر ابنة عمها التي حطمها . . . ولم تشعر شيلا بالغضب والكراهية تجاه أحد كما شعرت تجاهه . . .

lilas.com/vb3
mjerko

لبنان ١٢٠٠ ل . | الأردن ١ د . | الكويت ٥٠٠ ف . | البحرين ٦٠٠ ف . | تونس ١,٥ د . | السعودية | اليمن | السودان | العراق

liilas.com/vb3
mjerko

مجلة روايات احلام

مجلة قصصية اسبوعية تصدر عن شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.
ص.ب: ١١/٨٢٥٤ ـ بيروت ـ لبنان.

المدير المسؤول: آمال سابا الهاشم

جميع حقوق الطباعة والنشر والاقتباس والتأليف محفوظة للشركة.

التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات.

١ ـ جنون الحب

ارتشفت شيلا قهوتها وهي تصغي بأدب إلى العم جيوفري الذي كان يحدثهم بإسهاب كيف وجد طريقاً إلى الكنيسة عبر الأراضي الريفية، ولكن الأمور بدأت تختلط عليه وهو يصف الطريق. كانت زوجته المتيقظة تراقبه فلمحت نظرات شيلا، وغمزت بعينها.

بعد لحظة انضمت إليهما تبتسم لشيلا، ووجهها الصغير النحيل سموح ومتساهل. عقدت ذراعها حول زوجها قائلة:

ـ أظن أن الوقت قد حان للتفكير في العودة إلى الأولاد جيوفري.. فقد تأخر الوقت.

كشّر تكشيرة خفيفة ثم نظر إليها بمحبة:

ـ ومن سيقود السيارة أوتورين؟

ردت بحزم: «أنا..».

التقت عيونهما المبتسمة ثم وضع جيوفري فنجانه من يده وقال آسفاً:

ـ ما أروع رؤيتك ثانية شيلا.. أرجو أن نلتقي ثانية قبل أن تتزوجي.

ردت له ابتسامته، وقبلت أوتورين التي همست لها:

ـ متى موعد الزفاف حبيبتي؟ أرسلي إليّ لائحة بالهدايا التي ترغبين فيها قبل وقت طويل.

ودعا العريس والعروس ثم انطلقا فوقفت شيلا تراقب أقاربها بعينين مفكرتين.. كان أفراد عائلتها موزعين ولكنهم متحدون ومرحون وهم بين الفينة والأخرى يتقابلون ويتبادلون القبل والقال وغالباً ما كانوا يتلاقون في الأعراس وفي حفلات التعميد، ينتهزون الفرصة للاستعلام عن كل جديد في حياة كل فرد منهم. أحياناً كانت تمر سنة قبل اللقاء مجدداً، وفي هذه المناسبات العائلية، كانوا يتبادلون أخبارهم، وكان بين مختلف فروع العائلة ألفة حميمة. راح الأولاد يركضون حول الغرفة الكبيرة صائحين لاعبين وأخذ الأهلات

بلاحقتهم عبثاً. وتعالت الأصوات كلما اشتدت حدة الحديث أو اختلطت بضحكاتهم. . في الخارج كانت السماء الصيفية زرقاء. فسكنت شيلا من رؤية تأرجح أزهار الإجاص البيضاء.

ما إن أنهت فنجان قهوتها، حتى شاهدت ابنة عمها ألثيا تقف قرب الباب المفتوح إلى الحديقة، وبدأت بالسير إليها مبتسمة. كانت هي وألثيا قد قضتا معاً عدة عطل صيفية في طفولتهم وقد استمرت هذه العلاقة حتى المراهقة ولكن شيلا في السنوات الأخيرة لم تر ابنة عمها ألثيا كثيراً ذلك أن ألثيا توظفت في لندن في شركة مصرفية كبيرة.

شيلا أنيقة وهي ممشوقة القوام ذات وجه بيضاوي وعينين زرقاوين أهدابهما طويلة وجسد رشيق، نحيل يلفت الأنظار أما شعرها فأشقر طويل. كانت تعقده الآن على شكل ذيل حصان وهذا ما زاد من تأثير برودة قسمات وجهها.

انتبهت للنظرات التي تلاحقها في الغرفة وراحت تبتسم للوجوه المألوفة وتوقفت للتحدث مع عدة أقارب تعرفهم جيداً. كانت بذلتها الزرقاء تبدو مميزة وهذا ما جعل أنظار بعض الرجال تلاحقها.

ـ ألثيا!

التفتت الفتاة الصغيرة الجسم السمراء وفي عينيها البنيتين فضول وابتسامة:

ـ مرحباً شيلا.

عبست شيلا:

ـ لا تبدين على ما يرام. ثمة خطب ما؟

تأملت وجه ابنة عمها عن كثب وقرأت التوتر في الخدين الناعمين وحول العينين الدافئتين. حاولت ألثيا الابتسام مجدداً، ولكن شفتيها ارتجفتا:

ـ آه، أنا. .

تلاشى صوتها، ثم ارتدت على عقبيها بسرعة تريد الخروج إلى الحديقة. . ولحقت شيلا بها بلهفة وقلق، وكانت واقفة تحت شجرة إجاص، تسند رأسها إلى الجذع الخشن المشبع بالماء. . وتساقطت بضع أزاهير بيضاء واستقرت على

شعرها وكأنها قصاصات ورق ملون.

سألت شيلا بلطف وهي تضع يداً مطمئنة على كتف الفتاة:

ـ ما الأمر؟

ردت ألثيا بخشونة: «أنا بخير».

ابتسمت شيلا للوجه المطأطىء.

ـ تبدين بخير فعلاً!

نظرت إلى ما حولها فلما لم تجد مكاناً للجلوس قعدت على العشب وربتت الأرض قربها:

ـ تعالي. . اجلسي هنا، وأخبريني بالأمر.

تنهدت ألثيا وجلست ببطء، تسند ظهرها إلى الشجرة وهمست:

ـ أنا. . طردت من عملي.

نظرت شيلا إليها بدهشة.

ـ لكنني ظننتك ناجحة في عملك، وبدوت سعيدة به.

بدا أن وجه ألثيا قد تقبض بشدة وانغرورقت عيناها بالدموع، وراحت تنتحب ثم ارتجفت وهمست: «كنت!».

عندت شيلا ذراعها حولها. . الفرق بين عمريهما ثلاث سنوات. في طفولتها اعتادت شيلا السيطرة على الطفلة الصغرى وبانت مع الوقت معتادة على حمايتها. وظهر هذا التصرف بشكل حاسم اليوم، فالصغرى ما زالت عاجزة عاطفياً رقيقة القلب.

ربتت الكتفين المنحنيين وسألت بلطف:

ـ ماذا حدث؟

ردت بمرارة مفاجئة:

ـ ارتكبت غلطة عندما حملته على عمل الجد. . سمعت التحذيرات ولكنني كنت في غاية الغباء فلم أصغ.

تقبض جبين شيلا المصقول بالعبوس، وسألت بحذر تحدق إلى الوجه المغرورق بالدموع:

ـ من هو؟

- شاين . . !

الطريقة التي لفظت بها الاسم كانت تثير الإشفاق، وأحست شيلا أن مجرد مرور الاسم بين شفتيها يعطيها متعة معينة.

- شاين؟

نظرت أليا إليها مرتجفة الشفتين:

- شاين وود . . رئيسي.

اتسعت عينا شيلا في ذهول تحدق إلى الفتاة. لقد سمعت عن شاين وود رئيس الشركة الدولية للمصارف، ولكن سن أليا وتجربتها جعلتاها تتصور أن ابنة عمها تعمل هناك في دائرة صغار الموظفين، وأن من المستحيل أن تتصل بشكل مباشر بالرجل الكبير نفسه. فكرت بروية في مضامين ما تفتمت به أليا من كلمات، ثم قالت ببطء:

- الأجدر بك أن تبدئي من البداية . . ماذا كنت تعملين في الشركة الدولية للمصارف؟

- في قسم الطباعة . . لشاين سكرتيرة اسمها الآنسة كولتر . . إنها رائعة الجمال . . ولكنها ستتزوج في الشهر القادم . . وعندما تكون مشغولة، يطلب شاين موظفة من قسم الطباعة لتحل محلها. وهكذا قابلته وكان ذلك بعد ظهر أحد الأيام وقد مكثت فيه أعمل حتى وقت متأخر لأنني أردت أن أرضيه.

ضاق فم شيلا: «حل أرضيته؟».

مررت أليا يدها على عينيها:

- كان في غاية اللطف معي عندما دخل إلى مكتبي ووجد أنني أنهيته. وكان لديه موعد عشاء ألغاه، وطلب مني مرافقته إلى العشاء.

راقبت شيلا ببرود تألق وجه الفتاة واحمراره:

- وبعد ذلك؟

تنهدت أليا:

- بدا أنه لا يلاحظ وجودي، ثم فجأة بعد أسابيع وبينما كنت أعمل حتى وقت متأخر في إحدى الليالي وصل وطلب مني الخروج للعشاء، وعانقني في السيارة قبل أن نتبادل التمنيات بقضاء ليلة سعيدة . . آه شيلا، لا يمكن أن

تتصوري ما أحسست به!

فكرت شيلا متجهمة: ولماذا لا أستطيع؟

بدت أليا ضائعة في تفكير حالم . . عيناها تحدقان في السماء الزرقاء. راقبتها شيلا لحظات، ثم سألت بهدوء:

- وبعد ذلك؟

تورد وجه أليا:

- آه . تواعدنا عدة مرات . . كان يطلب مني الخروج بدون موعد مسبق.

تجهمت شيلا متمتمة:

- وكنت تقبلين دوماً؟

ردت تدافع عن نفسها وكأنها اتهمت بشيء ما:

- كنت مجنونة به.

فكرت شيلا، وكان يعرف هذا! اشتد ضغط شفتيها ثم سألت:

- حسناً . . ومتى تغير مسار العلاقة؟

أطرقت أليا وشفتيها ترتجفان. قالت هامسة:

- سألني ما إذا كنت أحل العلاقة على محمل الجد وأمل ألا أبني آمالاً كبيرة على علاقتنا.

قاطعتها شيلا:

- وهذا ما حدث لك.

- قلت له إنني أعرف أننا صديقان، وأن ما بيننا مواعيد عادية لا أكثر. واعتقدت أن هذا سيتغير مع الوقت. أعرف أنه كان معجباً بي شيلا . . كان يعانقني بلطف، ويشتري لي الزهور والشوكولا. ويقول لي إنني جميلة جداً وكانت عيناه تقولان ذلك أيضاً.

اللعنة عليه! راقبت شيلا خطوط التوتر حول ثغر الفتاة وعينيها، وسألت بلطف:

- ومتى تفجر كل شيء؟

تنهدت أليا.

- أثيرت أقاويل كثيرة في قسم الطباعة، أترين؟ ولا شك أن بعض تلك

الأفاويل تناهت إليه. وبعدئذ قال إن عليها التوقف عن التلاقي، قال إن الصداقة الجميلة اتخذت مساراً عاطفياً.

سألت شيلا بصوت جاف:

- تقصدين أنه طلب منك إيقاف الشائعات؟

ضحكت ألنيا ضحكة صغيرة مرتجفة:

- آه، لم يطلب مني ذلك بشكل مباشر، أتريين.. ظننته قد يغير رأيه، وظننت أننا مع الوقت سنعود للتلاقي ولكن سرعان ما ظهرت ڤيكي مارشال في الصورة.

- ڤيكي مارشال؟ من هي؟

- والدها أحد مدراء الشركة الدولية للمصارف، إنها جميلة، مثقفة وأنيقة، وهي تقود جاكوار حمراء وترتدي الملابس الفاخرة.

- وبدأ شابن وود يواعدها!

بدأت ألنيا تنتحب، ودفنت وجهها الصغير الشاحب بين يديها.

- آه شيلا! شعرت باليأس الشديد، وفقدت رشدي..

قطبت شيلا: «ماذا فعلت؟».

همست بصوت مخنوق:

- ذهبت لرؤيته بعد العمل في إحدى الليالي.. وحدثت فضيحة.. تكدرت وأخذت أصبح. وفي اليوم التالي نُقلت إلى فرع آخر من فروع الشركة وسأبدأ العمل هناك يوم الاثنين المقبل. لقد حدث ذلك بدون مقدمات.

- إذن هو لم يطردك بل نقلك؟

قالت ألنيا:

- لأنني أحببته. لقد أوقعني في حبه ثم رماني وكأنني حجر ساخن.

تنهدت شيلا.

- حبيبتي.. انظري إلى الأمر من زاوية أخرى.. أنت الآن أفضل حالاً لأنك تخلصت من ذاك السافل ولكن عليك أن تنسي ما حدث إلى خبرتك واتسي الأمر.

صاحت بصوت ملؤه اليؤس:

- لا أستطيع. أنت لا تفهمين شيلا أنا أحبه!

تنهدت شيلا وعلى وجهها شفقة: «يا للمسكينة..».

كانت ألنيا دائماً ضعيفة هشة، منفتحة على الحياة تتلقى الصدمات بقوة، وتستجيب بحرارة للعواطف المعروضة عليها. لوالديها ثلاثة أولاد أكبر منها وهي الصغرى المبعدة دوماً عن بعض الأشياء.. في البداية كانت صغيرة على الانضمام للآخرين وفيما بعد حين كبروا وتزوجوا، بقيت هي الصغرى المدللة قليلاً لفترة ولكنها ظلت عدداً زائداً غير محسوب في العائلة.

كانت شيلا قد وضعتها تحت جناحها حين كانتا صغيرتين، وما زالت تشعر تجاهها بشيء من الحماية. شيلا، ابنة وحيدة لأبوين كثيري الأشغال ابنة عنيدة، كبرت بطريقة مختلفة. تعلمت في سن مبكرة أن تكون مستقلة، كما تعلمت حماية نفسها من العواطف. مع أنها تعرضت لصدمة عنيفة وهي في السابعة عشرة، وتأثرت تأثراً عظيماً. كما تأثرت بالحصبة قبل عشر سنوات ولكنها شفيت من حبها المراهق مع الوقت، وقررت أن تدافع عن نفسها مستقبلاً ضد عواطف كتلك، فالعواطف مدمرة. نظرت إلى ألنيا بإشفاق. يا للطفلة المسكينة! إنها تقاسي وكأنها حيوان صغير ضعيف لا يستطيع الدفاع عن نفسه.. ولكنها للأسف ما زالت متيمة بالنذل، أما هو فيهنيء نفسه بدون شك على خلاصه من موقف مزعج.

جاء شاب طويل يرتدي بذلة سوداء، وقميصاً أبيض ويضع على يافته قرنفلة بيضاء، لوحت شيلا له حتى يبتعد قعيس بمحبة وعاد أدراجه.. فارتسمت ابتسامة على وجهها قبل أن تلتفت مجدداً إلى ألنيا:

- ستتغلبين على أحزانك مع الوقت.. أعرف أن من الصعب تقبل هذا الآن..

قالت ألنيا، وعيناها مغرورقتان بالعدوانية:

- أنت لا تفهمين.. إن الفتيات الجميلات مثلك يحوم الرجال حولهن كالقطيع، لقد تكنت أنت دائماً من إدارتهم حول إصبعك شيلا.. وما من أحد منهم آلمك، وعلى هذا كيف ستفهمين ما أشعر به؟

لم تغضب شيلا لأنها واجهت كثيراً الاتهام نفسه من صديقاتها.. إنهن لا ينظرن إلى أعمق من مظهرها الهادىء. لقد جعلها نكتمها واحتفاظها بأسرارها لنفسها تجد صعوبة في البوح بالصدمة العاطفية التي تلقتها في مراهقتها، وقد حدث ذلك في إحدى العطل عندما كانت عند أهلها، بومذاك تعرّفت إلى رجل عمك أكبر منها سناً وجرفتها نظراته وجعلتها تعيش في جنة الأغبياء مدة أسبوعين ولكنها بعد تلك الفترة اكتشفت أنه متزوج وقد جاء هذا الاكتشاف في الوقت المناسب لأنه حال بينها وبين الوقوع في ما لا تحمد عقباه.

جعلها مجرد ذكرى حبها البائس للرجل تشعر بالغضب، ثم سألت ابنة عمها بلطف:

- أتكرهين شكلي ألثيا؟ أنت تعلمين أنه ليس بمستطاعنا جعل أنفسنا جذابات أم غير جذابات.

- أكرهك؟ لا.. بالطبع لا! ولأكون صادقة أقول إنني أحسدك.. لو كنت جميلة ذات خبرة مثلك لجعلت شاين يتعذّب.. ولكنني فتاة عادية المظهر. أعرف أنه كان يسلي بي فقط. أعتقد أنني سأتغلب على ألمي مع الوقت.. فلا شك أنني كنت مجنونة عندما ظننت أن رجلاً مثله قد ينظر إلى فتاة مثلي نظرتين.

- كلام سخيف.. أنت فتاة جميلة.

وراحت تجفف لها دموعها بمنديل، ثم أكملت مازحة:

- هذا حين لا تكونين باكية.

ابتسمت لها بلطف، فشهقت ألثيا ضاحكة، وقالت:

- سيتزوج فيكي مارشال دون شك، فعائلتها ثرية وثراؤها هو ما يناسبه.. كان يخاف أن أفسد الأمور عليه إن استمرت الشائعات.. ففيكي مارشال ليست الفتاة التي ترضى بهذا..

نظرت إلى السماء بمرارة:

- .. إنها ممن يملك كل ما يريده ويأخذ كل ما يريد.. وإن ظنت أن شاين يعبث مع أخرى، فستغضب، وتنفصل عنه. أتعلمين؟ كانت نغار من الآنسة كولتر التي يعرف الجميع أنها مجنونة بحب خطيبها.

نفضت شيلا بلطف الأزهار البيضاء عن شعر ألثيا الأسود، ثم قبلت خدها:

- في البحر سمك كثير فانسيه.

عادتا إلى حفل الزفاف، وهناك أعطاهما الشاب الذي خرج إلى الحديقة قبل قليل كوبين من العصير. ولكن عينيه البنيتين كانتا مستقرتين على وجه شيلا وتبتسمان لها.

نظرت شيلا إليه بطرف عينها، مشيرة إليه برأسها نحو ألثيا ليراقصها. النوى فعله، لكنه استدار إلى ألثيا يسأل:

- أليست الموسيقى مؤثرة؟ أترغبين في الرقص؟

نظرت ألثيا بحزن إلى شيلا التي ابتسمت لها. تناول الشاب كوب ألثيا منها، ودس يدها في ذراعه.. فلمحت بهما عينا شيلا يرضى.. وراقبت باول يحدث ألثيا وعيناه البنيتان دافئتان على وجهها الصغير. ولم تلبث أن بدأت خطوط التوتر تترك عيني وفم ألثيا. فابتسمت، وفقد جسدها تصلبه.. فباول قادر على فتنة الطيور في أوكارها حين يهتم بغرض نفسه.. حين انتهت الرقصة، عاد إلى شيلا وحده بعدما أودع ألثيا بين ذراعي ضيف شاب آخر. وراقب مع شيلا كيف كانت ألثيا تنعم بالرقص مع الشاب الآخر.. سيستغرق هذا وقتاً دون شك، ولكن قلبها في النهاية سيشفى من جراحه.

أثناء العودة إلى المنزل تمددت شيلا إلى جانب باول في سيارته، وتفكيرها كله مشغول بألثيا، والغضب الأسود يلمع في عينيها لأنها كانت تفكر في الرجل القاسي الأناني الذي آلمها.

نظر إليها باول متسائلاً:

- لم تسمعي كلمة مما قلته.. ما الذي يشغل بالك؟

- شيء أخبرتني به ألثيا.

وشرعت تسرد عليه قصة ابنة عمها مع شاين وود بانتقاد لاذع.. فرد باول، يدافع عن الرجل:

- مرافقة فتاة ما للعشاء يشبع مرات لا تجعل من صاحب الدعوة مجرماً..

- ولكنه كان يعرف أنه يتصرف ذلك بؤثر كثيراً في طفلة غير ذات تجربة ولا

أشك أن مراقبة شرود عينيها أرضى غروره. إذا كان يريد اللهو، فلماذا يختار طفلة مثل ألبا؟ يا للطفلة المسكينة! غلطتها أنها تركته يتسلل إلى عواطفها.

- أما أنت فلن تسمحي بحدوث ذلك أبداً. أنت لا تسمحين لرجل بالتسلل إلى عواطفك.

- ليس إذا استطعت منعه.

حدق باول أمامه بصمت.. ولكنه بعد لحظات قال وكأنه يحدث نفسه:

- لا أدري لماذا أتحمل هذا بحق الله.

انتفضت من عنف نبرته: «ماذا؟»

- أنت، أيتها الباردة، المتسلطة، لماذا ستتزوجينني؟

ردت ببرود:

- لأنك طلبت يدي.. أتريد أن أرفض؟

- الله وحده يعلم..

رفعت حاجبيها السوداوين:

- أأنت جاد في قولك باول؟ أم إن هذا مجرد نوبة قصيرة؟

أوقف السيارة فجأة بعيداً عن الطريق، واستدار يواجهها. وذراعه على ظهر مقعدها.. لاحظت عيناها قسمات وجهه: إنه رجل جذاب.. لقد أعجبها شكله منذ لقائهما الأول وبعدما تعرفت إليه أكثر أعجبها الرجل الذي وراء الشكل الوسيم.. قال مقطوع الأنفاس:

- اصغي إلي لحظة شيلا.. هل أنت حقاً سعيدة بالطريقة التي تسير فيها الأمور بيننا؟

جعلتها الكآبة في صوته تقطب جبينها وراقبتها عيناه اللتان اشتعل فيهما إلحاح شديد. سألته بهدوء:

- أتلمح إلى أنك غيرت رأيك باول؟ أتريد فسخ الخطوبة؟

ازداد شحوب بشرته.

- لو قلت لك إنني لم أعد واثقاً.. شيلا.. فماذا ستقولين؟

تمتمت بهدوء: «أقول إننا أمام مشكلة خطيرة».

تأوه باول: «آه، يا إلهي!».

أمسك وجهها بيديه ينظر إلى عينيها، وقال بصوت أجش:

- عانقيني شيلا.

انحنت عليه تعانقه بحنان، تلف ذراعيها حول عنقه، وجلس مستمراً بين ذراعيها، مغمض العينين.. وأسندها إلى ظهر المقعد.. فاسترخت شيلا ولان جسدها النحيل بين أحضانه.

كانت عيناه حين ارتدّ عنها بارقتين ووجهه أحمر.. فقالت له:

- هل ثبت هذا لك رأيك باول؟

في صوتها مزاح وخبة، فرد بصوت أجش:

- تعرفين أنني مجنون بك.. وما يزعجني هو أنت شيلا.. لا أنكر أنك تتجاوبين معي ولكنك دائماً متحفظة تحاولين كبح أمر ما.. لا أحس أبداً أنني واثق منك.

قالت بلطف:

- إذا كنت تسأل ما إذا كنت أحبك.. فالجواب نعم باول، أحبك كثيراً. وأنا آسفة إذا كان تجاوبي لا يرضيك.

تأوه ثانية:

- طريقتك في تحديد الأمور خيبة! عندما تكونين بين ذراعي أصاب بدوار، ويتصاعد الدم إلى رأسي.. فيماذا تشعرين أنت؟

تنفس وجهها واعتلاه قلق:

- أتمنع بعناقك باول.. ماذا تريد أن أقول؟

قال بمرارة:

- هذا خبر سار.. أريد أن تشعري نحوي بالأحاسيس التي أحسها.

- نحن شخصان مختلفان. فإن كنت لا أصاب بدوار حين تعانقني فهذا لا يعني أنني لا أحبك.. أنا أكون مسرورة عندما أكون معك وأكون مسرورة عندما تغازلني، وأنتظر بفارغ الصبر موعد الزفاف. فلا تطلب مني أن أكون ما لا أستطيع أن أكون. ظننتك وقعت في حبي أنا وليس في حب شخص آخر. أتطلب الآن أن أكون مختلفة؟

عاد باول إلى مقعده وشغّل المحرك.. ولكنه عندما انطلق بالسيارة كان

وجهه كتباً . . وتنهدت شيلا، تقول بخفة:

- إذا كنت تفضل تأجيل موعد الزواج . . فهذا عائد إليك.

- لا!

- أنت متأكد ياول؟

- سأتزوجك وأتحمل المخاطر.

ابتسمت:

- لا تكن متسلماً! إذا كانت هذه الصورة تبعث إليك التشاؤم فلنبق على هذه الحال فترة. فلست على عجلة من أمري للزواج.

- هذا ما أراه واضحاً. والمشكلة يا شيلا أنني أنا المستعجل. أريدك بالحاح، حتى أكاد أجن. ولكن إن كنت لا تشعرين نحوي بالمشاعر ذاتها فاعلمي أن الحياة ستكون جحيماً لي.

أثارت بسمة فضولية صغيرة عينيها الزرقاوين فوضعت يدها على ركبته، فنظر إلى أناملها الطويلة. . قالت بصوت هامس:

- أريدك ياول.

ارتفعت عيناه إلى وجهها.

- أتريدينني إلى درجة أن توافقيني إلى لندن في عطلة الأسبوع؟

- ماذا؟

- آه، لا تنزعجي. ما أعنيه أنني أرغب في اصطحابك، ولا أقترح أبداً أن نسبق الزواج حبيتي! مع أنني أرغب كثيراً في ذلك.

فكرت في اقتراحه: «إنه المؤتمر الأوروبي؟».

هز رأسه:

- سيكون مملاً ولكن ستقام حفلة راقصة مساء السبت. . وإن لم ترغبي في أن أمضيها مع تلك الشهباء الحمراء في قسم المحاسبة، فعليك موافقتي!

تراقصت عيناها:

- الفتاة الحمراء في قسم المحاسبة؟ أهي تلك التي تنظر إليّ متفرسة كلما زرتك في المكتب؟

ابتسم ياول. .

- سأحاطر بأن أبدو مثل شابين وود. وأقول لك إنني دعوتها للعشاء مرتين. وأعترف أنها كانت تعطيني الضوء الأخضر كلما وقعت عيناها عليّ.

فكرت شيلا في الفتاة بمرح ثم علقت:

- ولكنها ليست طفلة معرضة للأخطار مثل أنيا.

- بل هي قاسية كجلد البقر. وستذهب إلى المؤتمر مع جوردن رئيس المحاسبة لأن زوجته غائبة في أميركا مدة ثلاثة أشهر، فهي تقوم بزيارة ابنها.

التوى فم شيلا، ونظرت إلى ياول بيرود:

- يا للمرأة المسكينة! وما دامت الشهباء سترافق جوردن فلن تجد الوقت للعبث معك.

رد ممازحاً قاصداً الإزعاج:

- جوردن متزوج، أما أنا فلا. . وأنا أفضل، وإذا كنت لا تهتمين بالدفاع عن ممتلكاتك شيلا. .

أوقف السيارة خارج منزلها، فاستدارت تنظر إليه:

- لماذا دعوتها للعشاء. . ياول؟

- هاه الغيرة أخيراً؟ للعمل فقط في الواقع. . لمصلحة زبائن يحبون صحبة الإناث.

رفعت حاجباً بارعاً:

- آه؟

ابتسم ومد يده لها: «حبيتي، حبيتي!»

استسلمت ورضخت لعناقه، لكن بيرود. . أخذ يمسّد شعرها الأشقر ويبعده عن وجهها وينظر إلى عينيها الزرقاوين.

- أترافقينني؟

- إذا أردتني.

- حجزت غرفتين منذ ستة أشهر. كنت سأصحب سكرتيرتي إن رفضت أنت. ولكنني في تلك الأيام ظننت أننا سنكون متزوجين الآن.

ردت بتعجب: «ولكن تعارفنا بدأ في تلك الأثناء».

- أعرف.

ـ أنت متهور باول. أنت مثل ألشيا تقفز إلى مواقف بدون أن تفكر.

ـ وأنت تفكرين طويلاً قبل أن تقفزي خاصة إلى الفراش معي.

قالت ضاحكة:

ـ أفضل أن أكون حكيمة قبل وقوع الحدث. ما دمت فكرت في الزواج منذ ستة أشهر فلماذا انتظرت أربعة أشهر حتى تطلب يدي؟

ـ لأن الزواج لم يخطر لك على بال.

تمعنت برده مفكرة.. هذا صحيح.. صحيح أنها أعجبت به منذ النظرة الأولى ولكنها لم تفكر فيه بجد. وعندما طلب يدها أدركت أنها متعلقة به.. ومع ذلك طلبت وقتاً للتفكير قبل أن ترد، وبعد أسبوع وافقت. ولكنها فعلاً كانت تستمتع بصحبته، وتتمتع بغزله. لقد جعلتها شخصيتها القوية، تجد صعوبة في مقابلة شخص يناسبها زوجاً، وأثناء فترة الخطوبة أحبته كثيراً.

باول رجل لطيف، دافىء متدفع في الثلاثين من عمره، يعمل في مؤسسة تجارية وهو وسيم وجذاب طبيعته تنعكس في عينيه وفمه، يبتسم كثيراً وغالباً ما يضحك.. وكانت تجده مرحاً وتحترمه جداً، سألته:

ـ وكيف عرفت أنني لم أفكر في الزواج بك؟

ـ حبيبتي.. كان الأمر واضحاً.

ـ وهل أنا واضحة المعالم أمامك باول؟

ـ بالعكس.. غالباً ما أتمنى لو أفهمك ولكنني وثقت من أمر واحد.. كنت كلما توددتُ إليك تبعدينني عنك.

ـ والآن؟

ـ ليتني أستطيع القول إن الوقت تغيّر فما زلت أشك في هذا.

ـ وما زلت تريد الزواج بي؟

ضحك، وكأنه يسخر من حبه:

ـ علي أن أتزوجك من أجل سلامة عقلي.

ـ حسناً.. ما دامت سلامة عقلك على المحك فأكره أن أراك مجنوناً باول..

نظر إليها بابتسامة قلقة:

ـ على الضحك أن يتوقف في وقت ما شيلا، ولقد تجاوزت هذه المرحلة معك.. ولكنك ما زلت تلاعبيني بقلب يخلو من الهموم.

رفعت حاجبيها بقلق:

ـ ظننت أننا متفقان على أن الزواج كله مرح.

تأوه: «مرح! حبيبتي، أكاد أفقد صبري، أما أنت فما زلت غير واثقة».

تكوّر فمها مرحاً.. وقالت تنظر إليه من بين أهدابها:

ـ آه، أظنني أعرف ما بك.. أستطيع القول إن تحليلي لحالتك يستوجب زواجاً مبكراً.

تصلب باول ونظر إليها بإمعان، ثم سألها بخشونة:

ـ ولماذا؟

مالت إلى الأمام تلثم خده، وقالت قبل أن تنزل من السيارة:

ـ أنت تسأل أسخف الأسئلة باول.

* * *

liilas.com/vb3
mjerko

٢ ـ امرأة في حصار

كانت شيلا تعمل في بادفور سكرتيرة في مؤسسة للصناعات الكهربائية. كانت تستمتع بعملها، مع أنه متطلب، ولقد ترقت في المؤسسة حتى أصبحت سكرتيرة المدير الذي رمق حقيبتها الجلدية قبل أن يغادر المكتب ليسأل:

ـ مسافرة شيلا؟

ـ أجل.. إلى لندن.

ـ وحدك؟

في لهجته شيء ما جعل الاحمرار يتصاعد إلى خديها.

ـ مع باول.

ـ هكذا إذن.. متعي نفسك!

ثم ابتسم ابتسامة خفيفة قبل أن يكمل طريقه إلى الخارج فعيست لأنها تعرف تماماً ما يعني، وهذا ما يثير الأعصاب.

عندما فتح باول لها باب سيارته، نظر إلى وجهها عابساً:

ـ أبك شيء؟

ـ رئيسي يلقي النكات.

ـ بشأن عطلة الأسبوع؟ وماذا قال والدك؟

ردت ببرود:

ـ ما قاله هو بالضبط.. متعي نفسك!

ضحك وتراقصت عيناه البنيتان.

أسندت رأسها إلى المقعد وهما ينطلقان جنوباً. منذ الزفاف العائلي وهي في مزاج نفسي غريب.. كان نمط حياتها يسير برتابة حتى أصغت إلى اعترافات أليا التي تحطم القلب، ثم واجهت مباشرة بعد هذا، وبحدة، عدم رضى باول عن علاقتهما.. كانت تعلم أنه يحبها أكثر مما تحبه، ولكنها كانت تظن أن تعلقها به كافياً. أما الآن، فهي تحس أنها تواجه مشكلة ليست واثقة من قدرتها

على حلها.

وصلا إلى الفندق قبل التاسعة. وكان العشاء يكاد ينتهي.. وعندما أرشدهما كبير السقاة إلى طاولتهما بدا وجهه متجهماً. جلست، ورأسها الأشقر مرتفعاً وكان على وجهها تعبير ملؤه البرودة. فنظر باول إليها وعيناه تريان مزاجها.

ـ منذ غادرنا بادفورد وأنت متجهمة. نحن هنا لنستمتع. أما زلت غاضبة من مزاج رئيسك؟ لا أظنه أراد إلا المزاح.

رفعت جفنيها، وجيهها مغطى بمجرفة باردة:

ـ أفضل أن أنسى الأمر.

ارتد باول في كرسيه وكأنها صفعته.. طلبا طعامهما وأخذا ينتظران صمت.. وفيما كانت نظرتها الباردة تجوب الغرفة الخفيفة الأنوار توقفت لحظة، لتلتقي عيناها بعينين رماديتين ضيقتين ولكنها لم تلبث أن غضت الطرف بازدراء ثم تابعت عيناها جولتهما.

مال باول فجأة إلى الأمام يمسك يدها. فنظرت إليه لتواجه ابتسامته.

ـ حبيبتي.. حدث اليوم شيء غير عادي. أردت أن أخبرك ونحن في طريقنا إلى هنا ولكنك بدوت لي غاضبة فأجّلت الأمر.

وصل الساقي إليهما فترك باول يدها وارتد إلى الوراء ثم شرع يتناول المقبلات. نظرت شيلا إلى باول بفضول:

ـ حسناً؟ وما الأمر المثير الذي تريد أن تخبرني به.

ـ طُلب مني السفر إلى كوريا مدة ستة أشهر. تريد مؤسستنا شراء بعض المواد الأولية ويحتاجون لمن يقوم بذلك.

قالت عابسة: «ولماذا أنت؟».

ـ لأن لي خبرة في ذلك.

تابعت طعامها وسألت بهدوء: «وما كان ردك؟».

مد يده ليمسك يدها مرة أخرى، ثم رفعها إلى فمه، وقال:

ـ طلبت منهم أن يعيدوا النظر.. فلن أؤجل الزواج حتى أعود. إذا أخاف أن أمير ظهري فيأتي من ... ذلك ...

قالت بكآبة:

ـ هل لي أن أسترد يدي؟ أحتاجها لأتناول طعامي.

ضحك، وتركها لها:

ـ ألا تشعرين بالرضى لأنني رفضت بسببك فرصة السفر إلى بلاد جميلة؟

ـ أظنها فكرة رائعة..

انتفض باول: «ماذا؟».

ـ قلت منذ أيام إنك تريد أن تكون واثقاً مني قبل الزواج.. وهذه فرصتك، فإن لم تغير رأيك حتى ذاك الحين، نتزوج.

وصل الساقي قبل أن يرد باول. فجلس يتلظى غضباً أما شيلا فراحت نظراتها تجوب الزبائن. فلمحت الفتاة الحمراء الشعر من قسم المحاسبة، تتناول العشاء مع جورجن السين. اجتاحت وجهها موجة استياء، وأشاحت بوجهها بعيداً فتابعت عيناها الزرقاوان طوافهما بلا اكتراث بين الطاولات.. وللمرة الثانية اصطدمت عيناها بالعينين الرماديتين ولكنها في هذه المرة شعرت أن الرجل يتعمد جذب أنظارها إليه فكان أن تأملته ببرود شديد وألقت عليه نظرة متمهلة.

كان يبدو أطول من باول بما لا يقل عن سبعة سنتمترات. شعره الأسود الكثيف موشى بخيوط فضية على الجانبين، ووجهه يحمل سيماء السلطة وذكاءً بارداً وبدا في عينيه الرماديتين الفولاذيتين قسوة. بدت كتفاه عريضتين قويتين ولكن جسده كان نحيلاً متناسقاً. كان ينظر إليها وفي عينيه الفضول الذي تشعر به تجاهه. راح تفكيرها يتساءل عن عمره وخمنت أنه في أواخر الثلاثينات. تحت حاجبيه السوداوين كانت عيناه ضيقتين. رمقته بنظرة باردة قبل أن تلتفت إلى باول..

ـ فتاتك الصهباء في قسم المحاسبة، هنا.

طافت عينا باول في الغرفة فقالت:

ـ عند الزاوية.

رفع باول يده ملوحاً. فرأت شيلا ابتسامة التشجيع التي تلقاها، فابتسمت لنفسها. لا ريب أن باول قد أصاب غزوة هنا.. نظر إليها ساعياً

لرؤية ردة فعلها.. إيماءتها الشديد فيه جعله يبتسم بتسامح وسرح.. كان أشبه بطفل صغير فعل شيئاً أمام أمه ليجذب إعجابها.

ـ كان يجب أن تأتي وحدك.. فكر كم كانت ستكون متجذبة.

تهدل طرفا فمه، وأطرق ينظر إلى طبقه بتوقف:

ـ لم أعد جائعاً.

ـ لا تكن سخيفاً باول.. تناول طعامك.

تعرف أن مزاجها صعب الليلة فقد شعرت بالتوتر منذ سألها باول ما إذا كانت مجنونة بحبه كحاله هو. وقد كرهت السؤال، مع أنها تحبت البرد.. فهي المرة الوحيدة التي لم تسيطر فيها على مشاعرها، وجدت نفسها، في ورطة مجنونة كان يمكن أن تكون كارثة. وعندئذ الحين قررت ألا تقع ثانية في ما وقعت فيه مرة. ولم تدع يوماً أمام باول أنها تحبه كما يحبها.. ولقد اعترف هو بهذا. إنها تقدم له نفسها كما هي، وليس كما يود أن تكون.. رفعت نظرها إليه بتوتر غير واعٍ تتذكر ملاحظاته.. وتمتمت:

ـ بالنسبة لكوريا.

نظر إليها وجلاً:

ـ نعم؟

ـ ألا تظن أن من الأفضل لكلينا أن نذهب؟ قلت منذ أيام إنك لست واثقاً مني.. والزواج وأنت تشعر بهذا الشعور حماقة كبرى.. باول.. لا يمكنني أن أتغير.. إذا كنت تحبني على ما أنا عليه فلماذا تطلب مني أن أتغير؟ أنا لم أتغير قيد أنملة ومن تغير هو أنت.

نظر إليها ببؤس:

ـ لا أريد أن تتغيري شيلا أريد فقط..

تنهد صامتاً فسألت: «ماذا تريد؟»

تمتم بشغف يميل إليها:

ـ أريدك أنت.. أريد أن تكوني امرأتي عارفة في الحب إلى درجة يكاد صوابك معه يذهب.

أرسلت كلماته رجفة في ظهرها، فسحبت يدها من يده عابسة. نظر إلى

وجهها، يراقب تعابيرها وتوترها الظاهر للعيان. قالت بصراحة:

- إذن تريد أن أكون ما لست عليه.

تنهد تنهيدة عميقة:

- ربما يجب عليّ أن أسافر إلى كوريا فعلّ غيابي يشكل فارقاً ما.

جاء الساقي بقهوتهما، فاحتساها بصمت، يتجنبان تبادل النظرات، ثم وقفت شيلا بعد لحظات تنظر إليه بهدوء.

- سأذهب إلى غرفتي، لأفرغ حقيبتي.. هل تلتقي في الملهى بعد نصف ساعة؟ يمكنك الطلب من جوردن وصديقتك الصهباء الانضمام إلينا.

هز رأسه: «كما تريدين».

أثرت فيها كلماته التي اجتاحت وجهه فانحنت تلثم وجهه متعمدة.. وهمست:

- قد أغار إن عبثت معها.

ابتسمت عيناه وفي هذه اللحظة بالذات خرجت من غرفة الطعام غير متنبهة للنظرات التي لحقت بقدّها النحيل الرشيق، والشعر الأشقر الناعم والوجه الهادىء.. قطعت الردهة متجهة إلى المصاعد، وضغطت زر أحدها.

جعلها وقع الخطوات تدير رأسها دورة.. فرأت الرجل الذي شاهدته في غرفة الطعام. كان يقف وراءها ويده تدفع موجة كثيفة من الشعر الفضي الأسود إلى الخلف.. وصل المصعد، فدخلت إليه ولحق بها ليسأل وقد رفع حاجبيه السوداوين:

- أي طابق؟

- الثالث.

ضغط الزر، فأقفلت الأبواب.. وقفت ببرود تتجاهله، فاستند إلى جدار المصعد وعيناه تجولان صعوداً ونزولاً على جسدها بتقويم وقح مهين أزعجها.

توقف المصعد وخرجت منه.. ولكنها دهشت حين لحق بها. كانت غرفتها في الطرف البعيد من الممر الطويل، وأحست بنظرته لا تبارحها. فتحت حقيبة يدها، لتخرج المفتاح وتفتح الباب وقبل الدخول إلى غرفتها، أدارت رأسها فوجدته عند مرقتها فصدمها وجوده. وظلت عيناه تطوفان عليها

بكسل، حتى ارتفع اللون الأحمر إلى وجنتيها.

مد إليها يده التي حملت قرطاً لؤلؤياً صغيراً، وقال بلهجة ساخرة:

- أوقعت هذا.

- شكراً لك.

انتزعت القرط من راحة يده.. فقال بهدوء:

- في غرفة الطعام.

وقفت ووجهها يحترق حرارة:

- لماذا لم تعطني إياه قبل الآن؟

ابتسم بكسل:

- كنت أتمتع بالترقب هذا دون ذكر المنظر الجميل أمامي.

أحست بأن يدها تتوق إلى صفع هذا الوجه. راقب غضبها بفضول، وكأنه يريد معرفة ماذا ستفعل. بعد صمت قاومت أثناءه نفسها، قالت ببرود:

- عمت مساء.

دخلت إلى الغرفة وأقفلت الباب مستندة إليه وهي تحس بقلبها يخفق تحت حرير بلوزتها البيضاء وتشعر بالغضب يملأ نفسها. لا تذكر أنها شعرت بمثل هذا الغضب في حياتها. في هذا الرجل شيء ما جعل شعر جسدها يقشعر. قاومت لتسترد رباطة جأشها. ولكن دقة خفيفة على الباب جعلت جسدها يهتز غضباً. فتحته وفي ظنها أن الرجل سيكون الطارق، لكنها وجدت باول واقفاً ونظرة توسل في وجهه.

قال بصوت منخفض:

- جيني.. شيلا..

تجاوزته عيناها من فوق كتفه فإذا الرجل الآخر لا يبعد عنهما سوى بعض خطوات والمزعج أنه كان يراقبهما فتوترت، وقالت بلهجة ود:

- تفضل باول.

تراجعت ليمر ولكن العينين الرماديتين كانتا تأسران عينيها وعندما ابتعدت بسمة ساخرة إلى الوجه القاسي أقفلت الباب.

ضمها باول إليه، ودفن وجهه في شعرها.

ـ شيلا . . لا أريد أن تتخاصم بل أريد أن تكون عطلة هذا الأسبوع مميزة .

سمعت خفقات قلبه وهو يشدها إليه، فتركت نفسها تتكئ إليه ورفعت ذراعيها إلى كتفيه باستسلام . وعندما ارتدّ عنها رأت وجهه شديد الاحمرار . . سألها باضطراب :

ـ أيجب أن نعود إلى الملهى ؟

نظرت إليه من بين رموشها، وابتسامة مزاح على وجهها :

ـ أتحاول جعل الصهباء تغار ؟

ـ اللعنة عليها شيلا . .

تجنبت ذراعيه المشتاقتين، وهزت رأسها :

ـ أريد إفراغ حقيبتي ياول . . أراك بعد نصف ساعة في الملهى .

خرج ياول على مضض وبدأت شيلا ترتب ثيابها في الخزانة . . وحينما انتهت بدّلت ملابسها بفستان رمادي وبعدما ارتدته نظرت إلى صورتها في المرآة مفكرة . . إن الفستان محتشم ومثير فصدره ضيّق جداً وياقته مفتوحة على شكل مثلث، أما تنورته فتتدلى ضيقة على وركيها ولكن لونه الرمادي أضاء بشرة ذراعيها اللؤلؤيتين .

تركت غرفتها وهي راضية عن صورتها، وتوجهت إلى المصعد . لكنها توقفت دهشة وغاضبة لأنها رأت الرجل يخرج على مهل من زاوية معتمة قرب المصعد، وينظر إليها بعينين ساخرتين .

رفعت شيلا ذقنها بأنفة وضغطت الزر . . أما الرجل فاستند إلى الجدار، يراقبها بإمعان . ثم تمتم : «بدون قرطين ؟» .

نظرت أمامها وكأنها لم تسمعه .

ثم من بين أسنانه : «شيلا» .

لم تستطع إلا أن تنتفض دهشة من معرفته اسمها . . فالتقط الحركة الخفيفة، واقترب منها، مع وصول المصعد الذي دخلت إليه ولكن عندما أغلق الباب وراءهما وأصبحت بمفردها معه شعرت بالتوتر .

وقفت تشيح بوجهها، ولكنها انتفضت ثانية حين مد إصبعه يمررها فوق كمّ فستانها الحريري .

فجأة أحست بثورة غضب فالتفتت تقول بشراسة :

ـ دعلا نركتني وشأني، أرجوك ؟

لاحظت الرضى الساخر في عينيه . ثم مد يده إلى آخر زر في لوحة أزرار المصعد وضربه براحة يده، فارتجّ المصعد وتوقف مهتزاً . . نظرت إليه بذهول وجسدها كله ينتفض .

ـ ماذا فعلت ؟

ارتجف جسمها ذعراً ولكنه قال بهدوء :

ـ كان لدينا مصعد كهذا، وفي هذا المصعد خطأ ألكتروني معين . وفي بعض الأحيان يستند أحدهم إلى اللوحة فيتوقف، وتتشابك الأسلاك في مكان ما، ويرفض المصعد التحرك ثانية .

شعرت بأنها غير قادرة على النطق وراحت عيناها تحدقان إلى وجهه الهادىء، والغضب يتطاير شرراً منهما . عقد ذراعيه ونظر إليها بهدوء :

ـ قد يلزم المهندس نصف ساعة لإصلاحه . ولكن عليهم أولاً أن يجدوا المهندس .

ابتسم ساخراً، وأكمل :

ـ أخشى أن يضطر صديقك للانتظار طويلاً .

قالت بشراسة :

ـ سأشكوك إلى إدارة الفندق .

ـ آه، هيا، فكري في ما هو أفضل . . ماذا حدث للهدوء الجليدي الذي عرفت به صديقك حين اشتدّ به الهوى ؟

احترقت وجنتاها أمام عينيه الثاقبتين :

ـ عمّ تتحدث ؟

ـ أثناء العشاء، كان كلما حاول لمسك يتلقى جموداً بطيئاً من هاتين العينين الزرقاوين الثلجاويين . لقد شعرت وأنا بعيد عنكما ببؤسه .

رفعت قامتها ببرود وارتفع حاجباها .

ـ لن أناقش غريباً شؤوني مع خطيبي .

ـ خطيبك ؟

جاء سؤاله بحدة. فمدت شيلا يدها ولدى رؤيته الخاتم أومضت عيناه الرماديتان والتوى فمه:

ـ الأطلس أفضل صديق للأنثى.. منذ متى وهذه الألماسة في أصبعك؟

ـ منذ شهرين.

كانت أسئلته تثيرها، ولكن طريقته في السؤال جعلت من الصعب عليها أن ترفض الإجابة. دس يديه في جيبي سترته، واستند إلى الخلف، وعيناه ثابتتان على وجهها البارد.

ـ وظل جاثياً على ركبتيه مذ طلب يدك، ولكن متى يا ترى تنوين تركه؟.

صدمتها سخريته اللاذعة واسودت عيناها غضباً. نظرت إليه وهي تشعر بأقصى درجات الكراهية التي لم تشعر قط بمثلها نحو شخص آخر.. صحيح أنها ترفض مثل هذه الإشارة، إلا أن فيها من الحقيقة ما يجعلها ترفضها بعنف.. سمعته يكمل بتكاسل:

ـ لو كنت مكانه..

قاطعته بحدة، وهي تجد نفسها عاجزة عن مقاومة إغراء الرد:

ـ هذا ما لن تكونه ولو بعد مليون سنة!

ولكنه لم يرتدع، وأكمل مبتسماً:

ـ.. لو كنت مكانه، لغازلتك حتى تفقدي القدرة على الوقوف على ركبتيك يا شيلا.

تورد وجهها بالدم الأحمر القاني، وغضبت من نفسها لأنه ظهر على وجهها آثار هذه الإهانة.

تصادمت عيونهما مساحة المصعد الضيقة فشعرت فجأة بالذعر فراح صدرها يعلو ويهبط بسرعة حتى عجزت عن الرد. أحست أن قوله أفقدها توازنها.

صمت لحظات، ثم التوت البسمة الساخرة مجدداً على فمه. وقال بصوت هامس وهو ينظر إليها:

ـ وهذا ما أنوي فعله بالضبط الآن.

انعكس على وجهها التوتر الشديد واتسعت عيناها وراح ثغرها الهادىء

الوردي يرتجف.. ارتدت خطوة، فاصطدمت بجدار المصعد الفولاذي أما هو فتقدم إليها عامداً فهمست من بين شفتين جافتين:

ـ إن لمستني مزقت المكان بصراخي..

وضع يديه على الجدار خلف رأسها وعيناه البنيتان الكستنائيتان تتفرسان وجهها الشاحب.. وردت عليه نفرسه وهي غير قادرة على الحراك، ولكنها كانت تشعر باضطراب كبير يتصاعد سائر أرجاء جسدها.. قالت بتحد:

ـ لن تجرؤ!

ضحك: «أحببت دائماً التحدي خاصة عندما يخرج من ثغر كهذا».

ـ لا تلمسني.

ردد ساخراً:

ـ لست خطيبك الأليف شيلا.. أنا أعطي الأوامر ولا أتلقاها.

مال بجسده إلى الأمام حتى أحست بثقله يضغط على أنفاسها، وبدأت رئتاها تتسارع حتى شعرت بالدوار وفقدت القدرة على التفكير السوي. لم تشعر قط بمثل هذا الإحساس.

تركزت عيناها الزرقاوان على وجهه بعجز فقد بدت جاذبية الرجل مدمرة فارتعشت وشعرت بالصدمة التي تجتاح كيانها، فجأة شعرت بأنها تهبط فجأة من ذروة الغضب إلى قاع الذل. وهمست تتوسل الرحمة:

ـ لا.. أرجوك.

كان صوتها مرتعشاً وعيناها تراقبان وجهه يهبط نحوها.. وكان كل عرق في كيانها يصرخ مذعوراً.

حاولت المقاومة وتلوت بين يديه.. فتمتم ببرود:

ـ اهدئي وإلا غضبت.

أمرها عقلها بتجاهل تحذيره المنخفض الوتيرة.. فليس عليها إلا الصراخ والمقاومة ليتركها وشأنها.. لكن الإحساس الغريزي القديم قدم الزمن، أمرها بالطاعة. وأثر عنفه فيها تأثيراً بدائياً لم يستطع دماغها الوصول إلى مستواه. كانت حتى هذه اللحظة تظن أنها تسيطر على حياتها وتتباهى بقدرتها على تكييف عالمها كما يناسبها. فعندما كان باول يعانقها كانت هي التي

تسيطر على ما يحدث بينهما.

لأول مرة في حياتها، وجدت نفسها عاجزة في قبضة رجل قولاذي الإرادة، وهذه التجربة، شتت سيطرتها على نفسها.. أجبرها ضغط ذراعيه الوحشي المؤلم على الخضوع ولم يتراجع.. ولم يكن هناك مجال للتساؤل عمن يمسك السوط بيده. تهاوت كرامتها وتباهيها بعيداً وبدأ اللون الأحمر يحرق وجهها وشعرت بأحاسيس جديدة تستحوذ على كيانها.

عندما ابتعد قليلاً، ودس يده في شعرها، وقفت ترتجف فنظر إليها من تحت جفنين منخفضين، ينظر إلى احمرارها. أخفض يديه ليمسك معصميها ثم وضع ذراعيها حول عنقه. ارتجفت، ولكنها لم تعترض. ثم حدق في عينيها الزرقاوين الضائعتين فتأوهت طويلاً، وأغمضت عينيها عاجزة.

كان قلبها يضرب بسرعة، والتصقت به وكأن مغناطيساً ما يجذبها إليه بطريقة لا إرادية، فضمها إليه أكثر فأكثر... حين خفف عناقه، كانت ترتجف، وكان ثغرها مفرجاً وأنفاسها متقطعة. عندما توقف عن الحركة للحظات فتحت عينيها ونظرت إليه بضعف.

فجأة تركها فترنحت وارتجفت ساقاها ووهنتا. وتمايل شعرها الأشعث حول وجهها. للحظات فقدت توازنها، عاطفياً، وجسدياً.

قال متمتماً بسخرية:

ـ ربما علي أن أعطي خطيبك بضعة دروس.

سمعت أصواتاً بعيدة فقال بلوي فمه:

ـ المهندس.. وفي الوقت المناسب!

بدأت شيلا بسرعة تتململ شعث نفسها، كانت يداها ترتجفان وهي تضع الدبابيس في شعرها وكانت تراه يراقبها بلا أدنى اكتراث.

ثم قال ساخراً:

ـ حمرة شفتيك بحاجة إلى إصلاح.. أيضاً.

أخرجت منديلاً تمسح به فمها وكأنما تزيل أثراً كريهاً عنه، فأخذ يضحك بصوت منخفض. وقال:

ـ أمر جميل، لكنه متأخر قليلاً شيلا.

نظرت إليه بكراهية مركزة.

ـ أنت أكره البشر على الإطلاق.

سارعت تعيد ترتيب زينتها بيدين مرتجفتين، ثم تفحصت شعرها.. وعندما شعرت بأنها استردت أناقتها الخارجية أحست بأن المصعد ينخفض، ويتحرك إلى الأسفل. أحست بنظرات هذا الرجل تحرق بشرتها.. وتمتمت بضعف:

ـ لو أمضيت لحظة أخرى بين ذراعي لما تمكنت من الوقوف على هاتين الساقين الخبلتين شيلا.. ما أشد أسفي على خطيبك إنه لا يعرف ما يفوت عليه. أنت امرأة مذهلة.

تجاهلته.. انفتحت أبواب المصعد، فخطت إلى الردهة حيث كان باول مضطرباً ينتظرها. التقطها بين ذراعيه، وراح يقبل وجنتيها:

ـ حبيبتي.. كم قلقت عليك.. هل أنت خائفة؟

التفتت إلى باول تعانقه وكانت تعي وجود الرجل الذي خرج من المصعد هو أيضاً. وقالت:

ـ لقد خفت كثيراً.. كان الأمر فظيعاً!

قادها إلى المقعد يساعدها وكأنها عاجزة ثم أجلسها على إحدى الأرائك الجلدية الوثيرة. نظرت إليها الصهباء بسرعة وعدائية، ونظر إليها جوردن الأصلع بإعجاب، وسأل:

ـ ماذا حدث؟ تعطل المصعد؟

ردت كاذبة: أعطل الكتروني.

جاء باول وهو يحمل إليها كوب ليموناضة ارتشفته بسرعة كبيرة فقد كانت بحاجة ماسة إلى ما يعيد إليها هدوءها.. فركبتاها ما زالتا ترتعشان، وجسدها ما زال غير مألوف لها وكأنما خلاياها كلها تبخرت في حرارة اللحظات التي أمضتها بين ذراعي ذلك الرجل.. وتركتها في حالة ضعف وعجز.

فيما كانت تهم بوضع الكوب على الطاولة أحست بوجود ذلك الرجل بجوارها فارتعشت يداها فارتعشت عيناها النجلاوان المصدومتان. أما هو فوجه نظراته إلى

المتحلقين حول الطاولة وتمتم:

ـ آه، هذه رفيقتي في الحجز. مساء الخير. كانت حادثة غير متوقعة ولكننا كنا محظوظين بوجود المهندس.

قال باول، مبتسماً بطريقته الودودة:

ـ نحمد الله.. أتود الانضمام إلينا؟ ماذا تريد أن تشرب؟

ـ عصير أناناس شكراً لك.

ـ مع الصودا؟

نظرت العينان الرماديتان بثبات إلى شيلا التي تجنبته ورد بعذوبة:

ـ أرجوك.. لم أنت شاحبة؟ هل أصبحت أفضل حالاً؟

ردت بجفاء: «أجل، شكراً لك».

نظر إلى باول:

ـ لقد تعرضت خطيبتك للإزعاج بسبب حادثة المصعد.. لقد كادت تنهار ساقيها.

نظرت إليه شيلا نظرة كراهية فابتسم وأضاف:

ـ في الواقع.. كاد يغمى عليها بين ذراعي.

كادت شيلا تصرخ لتنفس عن الغضب المرير الحارق الذي كان يغلي فيها.. وقالت بصوت أجش:

ـ هل لي بكوب آخر باول؟

ـ طبعاً.. تبدين فعلاً شاحبة يا حبيبتي.. أواثقة أنك على ما يرام؟

ردت بحدة: «أنا بخير».

قال الصوت العذب الساخر:

ـ إنه توتر عصبي. اتركيها وشأنها قليلاً أظنها ستتحسن بعد احتساء المزيد من الليموناضة.

وصل شرابه، فاستند إلى ظهر مقعده بجنبه.. فجأة أحست شيلا بضغط رجله على ساقها، فسحبت قدميها بسرعة بعيداً عنه.. ووصل شرابها أيضاً، فشربته بسرعة وكأنها ظمأى ظمأ شديداً. فعلق قائلاً:

ـ يا إلهي، كنت بحاجة إلى هذا الشراب فعلاً.

كادت ترمي على وجهه ما تبقى في كوبها.. لكنها التفتت إلى حمراء الشعر مبتسمة.

ـ أخشى أنني قد نسيت اسمك.

ردجوردن: «بيتي».

مرت عيناه بإعجاب على جسد الفتاة المرتدية ثوباً أخضر براقاً. إنها مخلوقة جميلة، نحيلة الخصر.. ردت على شيلا بابتسامة مؤدبة تسألها:

ـ أتعملين في مؤسسة للصناعات الكهربائية؟

ـ أجل..

سأل رمادي العينين:

ـ آه.. سكرتيرة؟

ضحك باول: «وهي بارعة في عملها».

ـ أصدق هذا!

نظرت شيلا إليه بكراهية:

ـ وأنت.. ماذا تعمل سيد...؟

ـ وود.. شاين وود.

عكس وجه شيلا ذهولها، وتبادلت مع باول النظرات ولوى باول شفتيه وكأنه يصفر بصمت عجباً.

تحرك وجه شاين وود متسائلاً بينهما بعدما لاحظ تبادل النظرات.. وتطوعت بيتي بالسؤال.

ـ ماذا تعمل سيد وود؟

ـ في حقل المصارف.

قالت متأثرة: «آه، محاسب؟».

ـ يمكنك تسميتي هكذا.

قالت شيلا بدون أن ترفع بصرها إليه:

ـ هذا ليس بالوصف الدقيق. على أي حال.

سألها والضحك ظاهر في صوته:

ـ وكيف تصفينني.. شيلا؟

رفعت بصرها إليه ثم قالت بحدة، قبل أن تتمكن من التفكير بردها.

ـ لا تغريني بالرد.

بدا على وجه باول الذهول والارتباك، ووضع يده على وكتفها يحذرها..

نظرت إليه شذراً، وقرأت نظرات عينيه فهو يظنها تفكر في ألنيا ويعتقد أن سبب ردها الحاد نظرتها إلى تصرف شاين وود مع ابنة عمها.. ولكن بعدما أمضت ما يقرب من نصف ساعة مع هذا الرجل لم يعد لديها أقل شك في قصة ابنة عمها. لقد فكرت من قبل أن ابنة عمها ضخمت الأمور فتصورت ما لم يكن يبديه هذا الرجل ولكن بعد طريقته التي اعتمدها في المصعد باتت موقنة من أنه تعمد العبث مع المسكينة الصغيرة ألنيا، على أمل إغوائها، ولكنه عاد فغيّر رأيه عندما لاحظ أنها تعلقت به كثيراً.

كانت بيتي تراقب باول بعينيها الخضراوين:

ـ سمعت إشاعة مفادها أنك قد تسافر إلى كوريا لمدة ستة أشهر باول.

ـ عُرض عليّ السفر ولكنني رفضت.

سأل شاين وود: «ألم تسمح لك شيلا باصطحابها؟».

احمرّ وجه باول بعد ما لاحظ السخرية:

ـ لم أرغب في الذهاب.

تنهد جوردن:

ـ إنها فرصة مذهلة.. أخلي عن أي شيء مقابل قضاء ستة أشهر في الخارج متقاضياً ذلك المبلغ الضخم.

نظرت شيلا إلى باول مستغربة:

ـ ذلك المبلغ الضخم؟

ـ عرضوا عليّ مرتباً مضاعفاً.

اتسعت عيناها:

ـ حقاً؟

تمتم جوردن:

ـ كان بإمكانك جمع ثروة أثناء وجودك هناك. ظننتكما ستسران بالمال الإضافي.. فتكاليف الزواج كثيرة. وأظنكما تبحثان عن بيت؟

قال باول: «ليس بعد».

سأل شاين وود وهو يستند إلى الخلف: «متى موعد الزفاف؟».

كانت له طريقة في التصرف كسولة تجعل عيناها لا تفارقانه.. تحت ذلك اللين ديناميكية كبيرة، وكأنما تصرفاته الهادئة العذبة، تخفي تحتها قوة رهيبة.. ردت عليه وهي تنظر إليه ببرود شديد.

ـ لم نقرر بعد.

أضجر بيتي هذا النقاش المتعلق بموعد الزفاف، فنظرت إلى باول، وعلى وجهها القلق:

ـ في الغرفة الأخرى فرقة موسيقية. لماذا لا نرقص قليلاً؟

نظر باول إلى شيلا مترقباً: «فكرة جيدة».

ولكنها ردت:

ـ أظنني أحب الذهاب إلى النوم.. فالوقت متأخر. ولكن، اذهب أنت باول.

تدخل شاين وود قبل أن يتمكن باول من الرد:

ـ هراء.. سترقصين طبعاً.

وقف وهو يتكلم ثم رفعتها يد قوية وكأنها دمية.. أرادت أن تصرخ، أو تعض يده، ولكنها شعرت بالوهن أمام نظرته الساخرة. وكان أن سمحت له باقتيادها نحو الباب. ولحق بهما باول وبيتي وجوردن.. وقالت شيلا من بين أسنانها:

ـ أتسمح بإبعاد يديك اللعينتين عني؟

ـ لا تتفكهي عن هذا القول شيلا. ومن المؤسف أنك كاذبة.

التفتت إليه لا إرادياً فتراقصت عيناه بسخرية:

ـ أوضحت لي في المصعد بما لا يقبل الشك، أنك أحببت الإحساس بيدي على جسدك.

دخلا إلى الغرفة الأخرى.. كانت مكاناً طويلاً أنيقاً فيه مقاعد قماشها حريري وطاولة بين كل مقعدين.

امتدت ذراع شاين فجأة حول خصر شيلا، فتمتمت ذهولاً وحذراً..

فنظر إليها يشدها إليه.

ـ جئنا للرقص.

ـ لن أراقصك.

ـ بل سترافصينني شيلا.

وتحرك بها بين الراقصين بالنقاقة سريعة من جسده الرشيق. ومن هناك لمحت وجه باول الغاضب وهو يراقبهما متوتراً. أدارها شاين وود بحيث لم تعد ترى باول، وقال متمتماً:

ـ يبدو خطيبك على وشك أن ينفجر في أية لحظة.

خفق قلبها بسرعة عندما أخفض رأسه ليلثم وجنتها. قالت مرتجفة:

ـ أيها الخنزير القذر.. ! ما أشد احتقاري لك.

أحست أن شفتيه انفرجتا عن ابتسامة وهمس في أذنها.

ـ أيتها الكاذبة الصغيرة.

ـ لماذا لا تتركني وشأني؟

ارجع رأسه إلى الوراء مبتسماً.

ـ لأنك تسليتني.. أستمتع برؤية الإحباط في عينيك.. لأن ذلك يجعلك تبدين من البشر، كما بدوت لي وأنت بين ذراعي في المصعد.. حين رأيتك في غرفة الطعام كنت كامبراطورة الجليد، مترفعة لا يمكن الوصول إليك.. فكان أن راهنت مع نفسي على أن أخرج المرأة من بين ركام الجليد وتساءلت كم سيطول بي الأمر حتى يحدث ذلك.

سحبت نفساً عميقاً ولكن جسدها ظلّ متوتراً، ثم سألت ببرود:

ـ وهل ربحت الرهان؟

تركزت عيناه الرماديتان على ثغرها، مما جعلها تزداد تصلباً، وقال بهدوء:

ـ نعم فين أنني ربحت.

أرادت أن تضربه فابتسم لها بكسل، يقول ساخراً:

ـ ليس علناً شيلا.. فقد تصدمين خطيبك وتحدثين فضيحة.

غضت طرفها وشعرت تجاهه بكراهية جعلتها تتذكر ياسة بطريقة تمسح

بها البسمة الكسول عن وجهه الوسيم. ووددت لو تستطيع رد تهجماته. وتذكرت أن ألنيا قالت تقريباً الشيء نفسه.. فقد تأوهت ألنيا قائلة: «ليتني أقدر على أن أعذبه كما عذبني». وتصورت شيلا أن نساء كثيرات قلن الشيء نفسه عن هذا الرجل.

رفعت بصرها فجأة فرأته ما يزال ينظر إليها. ولكن تلك الابتسامة كانت خالية عن وجهه القاسي، وحلّت محلها نظرة فضول.. ران صمت غريب لدى تلاقي عيونهما وأحست شيلا بفمها يجف.. في هذا الوقت شعرت أن يده تضمها إليه أكثر فأكثر وهي تستجيب، فارتجفت كما حدث في المصعد وتشنجت أعصابها.

رقصا بصمت وكانت خطواتهما متناغمة وجسماهما ملتصقان بدون خلف. استطاعت سماع دقات قلبه فوق قلبها، وشعرت بدفء أنفاسه على كتفها.

ثم.. توقفت الموسيقى، فتوقفا عن الرقص وابتعدا ببطء. قفلت راجعة إلى الطاولة بدون أن تلقي نظرة أخيرة عليه وهناك وجدت جوردن ينظر بغيظ إلى باول وبيتي العائدان ضاحكين.

قال شاين وود:

ـ أشكرك على الرقصة.

والتفت إلى باول الذي بدت الغيرة في عينيه وقال:

ـ عمت مساء.. أظنني سأنسحب لأنام الآن.

جلست شيلا مشيحة برأسها ولكنها أحست بنظراته عليها. ثم ذهب وكادت تنهار من الارتياح.. عندما تكون معه تشعر بأنها متوترة وكأن كارثة ستقع في أية لحظة.. إنه أمقت رجل قابلته يوماً. تاقت للانتقام منه بسبب ما فعله بها اليوم..

أيمد جوردن يبتي منتظراً، وجلس باول ينظر إلى رأس شيلا المطأطىء.. ثم سألها بخفة:

ـ عم تحدثت إلى وود؟

رفعت رأسها بوجه هادىء وقالت صادقة:

ـ تحدثت إليه بأقل ما يمكن من كلمات.

تابع والغبرة واضحة في نبرات صوته:

ـ كنتما ترقصان وكأنك تحلمين.

ردت وهي تتابع قول الحقيقة:

ـ كنت أفكر كم أرغب في ضربه، لم أكره قط رجلاً كما كرهت شاين وود.. وكم أتمنى لو أراه في نهر مليء بالتماسيح!

ـ غريبة الصدفة لقد التقيناه بعدما أخبرتنا أليا عنه. أتعرفين.. ظننت أنها تبالغ فهي تبدو لي طفلة جياشة العاطفة.

قالت شيلا بمرارة:

ـ أصدق كل ما قالته.. شاين وود هو سافل نذل.. وعلى إنسان ما أن يسلخ جلده حياً.

ضحك باول:

ـ يا إلهي ما أشد حقدك عليه حبيبتي؟ لكن يجب أن تعترفي أنه متوحش وبهي الطلعة.

ـ متوحش هي الكلمة المناسبة. وأتمنى على الله ألا تقع عيناي عليه ما تبقى من عطلتنا!

* * *

liilas.com/vb3
mjerko

٣ ـ الحرب الصغيرة

في الصباح، بعد الفطور ذهب باول مع أعضاء مؤسسته للمشاركة بجلسة المؤتمر الأوروبي في مركز المؤتمرات تاركاً شيلا حرة طوال فترة الصباح، وكان أن جالت وحدها في لندن، تتبضع وتتفرج على واجهات المحلات.

خرجت من المصعد وتفكيرها منشغل بإيجاد هدية لوالديها. إنهما يهويان الخزف النفيس.. ورغبت في أن تجد لهما قطعة جميلة يضمانها إلى مجموعتهما.

عندما خرجت من الفندق لم تلاحظ السيارة المتوقفة خارجاً في الزاوية. فجأة حطت يد على مرفقها فانتفضت مذعورة. التفتت وإذا بها ترى وجه شاين وود.

قالت بجفاء وبلهجة باردة خالية من الاهتمام:

ـ ماذا تريد؟

فتح باب السيارة الليموزين الزرقاء: «اصعدي».

سحبت ذراعها منه بغضب.

ـ لا.. شكراً لك.

سخرت عيناه منها:

ـ أتريدين أن أحملك وأرميك إلى الداخل؟

وقفا يتبادلان النظرات والصراع دائر بينهما. لم تكن شيلا معتادة على خسارة جدال.. وكانت في السنوات الماضية تحمي نفسها داخل قوقعة من البرود والبرودة. وها هي الآن تجد أن درعها يهتز أمام إصرار وعناد هذا الوجه الرجولي القاسي.

تعرف عندما يقول شيئاً أنه يعني ما يقول، وأنه لن يتردد ولو للحظة واحدة في تنفيذ تهديده. وفيما هي تواجه النظرة الساخرة في عينيه الرماديتين فكرت كيف السبيل إلى الخلاص منه ولكنها عرفت أن لا سبيل أمامها.

دفعتها يده بنفاذ صبر إلى الداخل، وصفق الباب وراءها.. استدارت

لتقفز إلى الخارج ولكنه كان قد استوى إلى مقعده. فتحت مسكة الباب وهو يدير المحرك ولكن الباب لم يتحرك.

ـ الأقفال آلية.

وانطلق بالسيارة نحو الزحام.

صاحت بغيظ: «أيها النذل!».

ضحك، ونظر إليها متسلياً:

ـ الهدوء الثلجي يذوب ثانية.. شيلا. حذار. أين وقارك المتعجرف الذي تعاقبين به خطيبك؟

ـ أنا لا أفعل شيئاً كهذا.

ـ لكنك تفعلين وقد رأيتك بأمّ عيني. يكفي أن تلقي عليه نظرة واحدة من هاتين العينين الزرقاوين ليحبو متذللاً. لو كنت مكانه...

ـ سمعت قولك هذا قبل الآن.

امتدت يده الطويلة التي تسللت إلى ركبتها، وتمتم:

ـ هكذا إذن..

صفعت يده، ولكنه انتزعها قبل أن تصل إليها، فضربت نفسها. ضحك ضحكة مجلجلة.

سألته: «إلى أين تأخذني؟».

سيطرت على صوتها بطريقة ما فظهر فيه البرود بارزاً ولكنها تشعر بأنه يعرف أن تحت هذا البرود خوفاً وذعراً منه.

ـ اعتقدت أن الحديقة العامة مكاناً لطيفاً.

ذعرت لهنيهة:

ـ الحديقة العامة؟

ـ إنه صباح مشرق يستحسن فيه التريض، ألا تظنين هذا؟

سحبت نفساً عميقاً طويلاً:

ـ صرخة واحدة تكفي لتحطيم هذا السكون.. الربيع.. سيهرع رجال الشرطة حين يسمعون الصراخ طالبة عون أول شرطي أراه؟

نظر إليها وعيناه مغرورقتان بالضحك.

ـ لو نظرت إلى الخارج لرأيت شرطياً الآن.

أدارت رأسها لا إرادياً، كان شرطي شاب يسير على الرصيف، يراقب السيارة بدون اكتراث.. فضحت أسارير وجهها مشاعرها الغاضبة، العاجزة، وفقدت صبرها. إنه يعرف أنها لا تملك الشجاعة لخلق فضيحة علنية. عادت تنظر إليه، والنار مشتعلة في عينيها: «أنت لا تطاق».

ضحك ثانية:

ـ خيبت أملي.. ظننتك ستنفذين ما هددت به.

ـ وماذا كنت ستفعل؟

ـ جرّبي، تعرفي.

زادتها لهجته اللامبالية غضباً، وارتفعت نظرة التحدي إلى عينيها، ورافق هذا التحدي تصميم غاضب لم يمر بدون أن يلاحظه. فانسعت بسمته، ثم حوّل السيارة إلى اليسار نحو ظلال الحديقة العامة. كان الزحام شديداً حول الحديقة، لكن تحت الأشجار كان الهدوء والسلام الصباحي الواعد بالنشاط.

أبطأت السيارة لتركنها في موقف السيارات. انتظرته شيلا بجفاء ليفتح لها الباب.. ولكنه استدار، وفتح بابه، فسارعت تفتش عن مسكة بابها، وسرعان ما تحررت. خرجت من السيارة وسارعت بسرعة بين الأشجار.. لكان لا يبعد كثيراً عن السوق وستقصده لشراء ما تريد.

لحق بها قبل أن تبتعد، وأطبقت أصابعه على معصمها لتوقفها. فصاحت به غاضبة:

ـ اتركني! وأنا أعني ما أقول هذه المرة.. دعني وإلا صرخت صراخاً دفع كل رجال الشرطة للمجيء.

رد مبتسماً:

ـ لا حاجة لك لمثل هذا الصراخ.. ثمة واحد هناك.

التفتت فشاهدت شرطياً في الممر على بعد بضعة أقدام منهما.. في البدء سمعتها كراهيتها لإثارة الفضائح من مناداته ولكن عندما نظرت إلى ابتسامة شابين وود العريضة قالت بسرعة:

ـ حضرة المفتش!

لم يحث الشرطي خطواته. بل تقدم بأدب وقال:

ـ هل أستطيع مساعدتك آنسة؟

انفجرت غاضبة:

ـ قل له أن يدعني وشأني.. إنه.. إنه يزعجني!

انتقلت العينان الرسميتان الهادئتان إلى وجه شاين وود.. أما شيلا المرتجفة قليلاً، فلم تجرؤ على أن ترفع نظرها إلى العينين الفولاذيتين.

سمعت ذلك الصوت الكريه، المليء بالتسلية التي تكاد تسلب عقلها:

ـ آسف أيها المفتش.. إنها متوترة كحال العروس دائماً.

مد يده يمسك يدها قبل أن تفهم ما ينوي فعله فرفع الخاتم الألماسي أمام عيني الشرطي، ثم أردف:

ـ إن المشكلة أنني أفضل سريراً مزدوجاً أما هي فتفضل سريرين. انظر كيف تعاملني. إنها تتبذلني منذ نصف ساعة.

صاحت شيلا بشهقة غضب شديدة:

ـ آه، أيها الكاذب! أنت.. أنت.. أيها الشرطي، لا تهتم بكلامه.. فهو غير صحيح!

أكمل شاين وود ببرود وجد:

ـ أمي تقول إن الزواج الناجح يعتمد على سرير مزدوج.. فهو يبقي الزوجين متقاربين.

دس يده حول عنقها ثم أردف:

ـ بعد الزواج يا شيلا سأصر على سرير مزدوج.

صاحت والغضب يهزها:

ـ لن أتزوجك ولو جثوت على ركبتيك أمامي!

قال يوبخها بعذوبة:

ـ حبيبتي.. كيف تقولين هذا بعد الطريقة التي تجاوبت فيها معي ليلة أمس؟

استدارت بعنف نحوه ووجهها يحترق غضباً:

ـ تعرف جيداً أيها الشيطان أنه لم يكن أمامي خيار آخر!

تنهد. وعلى وجهه قناع ساخر:

ـ أنا مجرد بشر شيلا.. كما أننا سنتزوج. لا تحرجي المفتش بتفاصيل حياتنا العاطفية حبيبتي.

نظرت إليه وهي تكاد تنتحب: «آه..!».

عندما همَّ الشرطي بالابتعاد عقد شاين ذراعه حول شيلا لئلا تتمكن من الابتعاد، ثم دفع وجهها إلى صدره مع أنها كانت تقاومه بشراسة:

ـ يجب أن تعذرها أيها المفتش.. إنها متوترة في هذه اللحظات.

كان يخبيء رأسها في صدره، فقال الشرطي:

ـ أفهم سيدي.. وحظاً سعيداً. شخصياً أوافقك الرأي بشأن السرير المزدوج. فهو أفضل من وضع زجاجة ماء ساخن للتدفئة.

كانت ضحكة شاين تقودها إلى الجنون.. وبدأت تقاوم بعنف، ولكنها شعرت بأنها ترتفع ما بين ذراعيه، بسهولة وكأنها طفلة. جلس وأجلسها على الأرض فوق العشب وتحت الأشجار، حيث شاين وود ينظر إليها بشفتين تلويان سخرية. صاحت به:

ـ أكرهك!

ـ أتكرهينني حقاً شيلا؟

أحنى رأسه إليها فخفق قلبها بين ضلوعها من الغضب والرغبة التي لمست أذنيها. تبادلا النظرات وكأنهما عدوان يتبادلان الضربات في معركة عنيفة. وبعد الغضب شعرت بإحساس غريب استولى على كيانها كله، وطفق جسدها الخائن يضعف، ويغرقها في عذوبة للذيذة، فارتفعت يداها إلى كتفيه، تحركان بقلق وارتدَّ رأسها إلى الوراء ترقباً..

عندما ارتدَّ عنها كان كلاهما متسارع الأنفاس، وكانت هي ضائعة تقريباً أما ذراعاها فكانتا معقودتين خلف عنقه وكأنها تخاف أن تقع.. وتمتم ساخراً:

ـ تظهرين الكراهية بشكل مثير شيلا.

شعرت بالخزي والعار وقاومت لتبتعد عنه.. ولكنه شدها إليه بحيث سيطرت يداه على حركاتها، فانتفضت إلى الوراء.. ولكن سرعان ما كان إلى جانبها، ووجهه يطل عليها من فوق ويده تثبتها في مكانها.

ـ لن تجرؤي على إشراك أحد في حربنا الصغيرة. أنت فتاة ذكية.. فواجهي الواقع.. إن ما يجري هو بيني وبينك، ولا مجال للجوء إلى غرباء.

ـ ليس بيني وبينك شيء.

مرت عيناه عليها ببطء ثم قال بوقاحة:

ـ إلا بعض الثياب، وبإمكاني تغيير هذا الأمر بسرعة.

احترق وجهها غيظاً:

ـ كم أود لو أمسح هذه الضحكة السمجة عن وجهك!

ـ حاولي!

قابلت عينيه المتحديتين، وطارت يدها. ولكنه أمسك بها، يجبرها على وضعها فوق العشب.

ـ اتركني!

ـ لماذا؟ لتصفعي وجهي؟ ماذا تظنينني؟

فتحت فمها وكلمات الكره والاحتقار على طرف لسانها.. ولكن، قبل أن تتمكن من التفوه بكلمة وضع يده على فمها وقال ضاحكاً:

ـ لا تقولي شيئاً.. عيناك معبرتان شيلا.. على السيدات المحترمات ألا يستخدمن كلمات كهذه، مهما كان الحافز.

أخذ فمها الرازح تحت يده القوية يصدر أصواتاً مخنوقة واحتجاجاً مريراً. حاولت ثانية النهوض ولكنه مال فوقها، فتغلب بسهولة على محاولاتها.

قرأ اللهب الأزرق في عينيها فشعر بالتسلية ويبدو أنه لم يتأثر أقل تأثر بما ترميه عليه من نظرات غاضبة ولكن لم يمض وقت حتى أخذ الحاجز على فمها يضعف، وأخذت أصابعه تتسلل بلطف إلى وجهها، تلاحق القسمات العادية، بحركات ناعمة.. ازدادت شيلا غضباً من ردة فعلها. إنها تكرهه وتحتقره.. ولكنها غير قادرة على السيطرة على الأثر الذي تتركه لمساته فيها. فكلما وقعت عيناها عليه شعرت بالذوبان ولا علاقة لهذا بالمشاعر.. بل أنه أمر جسدي صرف، ولكنه قوي. وهي تشعر رغم كل المبررات التي تقولها لنفسها بأن هناك شيئاً ما غير صحيح في شخصيتها، فهي تذوب بين ذراعيه ذوباناً لا خلاص منه.

سمعته يقول بعذوبة:

ـ إذا وعدت أن تحسني التصرف تركتك. أريد محادثتك. أتقسمين بألا تهربي كأرنب مذعور إذا تركتك؟

نظرت إليه بعينين زرقاوين غاضبتين، ثم تنهدت تهز رأسها. أبعد يديه عنها. وجلس. أما هي فراحت ترتب شعرها وفستانها البني. كانت نظرته المكسولة تلاحق كل حركاتها وتراقبها، فأدارت له وجهها تنظر إليه ببرود شديد. وسألت:

ـ حسناً؟

ـ ستتركني سكرتيرتي لتتزوج.. وأريد أن تحل محلها.

خطف التصريح العفوي أنفاسها.. ثم شهقت بصوت مرتفع:

ـ أيها...

أطبقت شفتاها على الإهانة التي كادت تطلقها، ثم بعد صمت قصير ردت بجفاء:

ـ لدي وظيفة جيدة سيد وود.. ولا أنوي تغييرها.

سألها بصوت لم يتأثر: «ما هو راتبك؟».

فأخبرته.

ـ سأضاعفه.

نظرت إليه دهشة ثم انفجرت غاضبة:

ـ أتتوقع حقاً أن أقبل؟ أستطيع تصور الأعمال التي تتوقعها من سكرتيرتك.. وصدقني أنا لا أفكر في عرض كهذا! وواقع أنك أنت من عرض هذا هو إهانة كافية.

هبت على قدميها واقفة تواجهه.

ـ وداعاً سيد وود.. أرجو أن تدعني وشأني في المستقبل! أنا لست من الفتيات اللاتي تبحث عنهن.

رد ساخراً:

ـ لا تعرفين نوع الفتيات الذي أبحث عنه. ولن يكون هناك وداع بيننا، فلا تضيعي طاقتك في الهرب، ستحتاجين إلى كل ذرة من طاقتك للمقاومة.

- أيها المتعجرف التافه، الحقير المغرور.. على شخص ما تلقينك درساً.

ضحك: «جربي شيلا».

كانت على وشك أن تفعل.. وستحس بدون شك بالرضى الغامر في قبول تحديه.. لكن شيئاً مدفوناً في أعماق رأسها، حذرها من مغبة المقامرة. فهي غير واثقة من انتصارها لأنه أخطر من أن تتلاعب معه، وهي تخشى من النتائج.. *قالت وهي ترفع رأسها بحدة وتهز كتفيها:*

- لن أزعج نفسي، فأنت لا تستحق الجهد.

ارتدت لتبتعد ولكنه سارع إلى مرافقتها وكانت يده تحت مرفقها، مع أنها حاولت الابتعاد عنه.. وقال:

- سأعيدك إلى الفندق.

- أفضل العودة سيراً، كما أنني أريد شراء بعض الأشياء.. أرجوك، دعني وشأني! لقد أفسدت عليّ صباحي.

نظر إليها مفكراً: «كنت جاداً بشأن عرض العمل».

- أعرف ما هو نوع العمل.. فلا تكرر الاقتراح، وإلا فعلت ما تندم عليه معاً.

- أريد سكرتيرة، لا عشيقة! وإن أردت من يشهد لي فاسألي سكرتيرتي السابقة.. لقد عملت عندي ثلاث سنوات. وكنت دوماً أعاملها معاملة حسنة بعيداً عن الأغراض الشخصية.

ردت ساخرة: «أنا واثقة من هذا».

- ما كنت لتتفوهي بهذه الكلمات لو كنت تعرفينها.. إنها فتاة طيبة. صدقي أنه ليس بيني وبينها شيء لا يعرفه خطيبها.

كانت نبرته مقنعة ولكنها نظرت إليه بغضب:

- ربما هذا صحيح.. ولكن تصرفك معي لم يعطني انطباعاً بأنني قادرة على الاعتماد على زعمك.

لمع نور خبيث في عينيه:

- أليس لديك ثقة بقدرتك على إبعادي عنك، شيلا.. ألن تخاطري؟

كانت تعرف أنها لا تثق بقدرتها ولكنها تعرف أيضاً المخاطر وراء اعترافها

- وهكذا قالت ببرود:

- أفضل البقاء حيث أنا.. فلن أتمكن من رؤية خطيبي كثيراً إن عملت في لندن، ويبقى هو..

- من جهة أخرى فكري كم ستوفرين.

انفجرت:

- أستطيع تصور ما سيقوله باول لو أخبرته أنك عرضت عليّ مثل هذا العمل.. ستكون ريبته موازية لريبتي ولن يسمح لي بالقبول.

- آه، لا أدري! الرواتب في لندن أعلى بكثير من رواتب المحافظات.. وأنا رئيس مؤسسة ضخمة. الراتب الذي أعرضه عليك لا يزيد كثيراً عما يمكن أن تطلب في أية وظيفة مماثلة. سكرتيرتي مثلاً، راتبها أقل بقليل مما أعرضه عليك.

دهشت، واتسعت عيناها للمعلومات.. فضحك مردفاً:

- خاب أملك؟ أم تفضلين الظن أنني أشتري خدمات أخرى غير قدرات السكرتارية؟

ردت متجاهلة اقتراحه:

- بإمكانك الحصول على من هي أفضل مني بكثير للوظيفة في لندن، فأنا لست مؤهلة.

- بل أنت مؤهلة خير تأهيل. أنت جميلة جداً، كفؤة، ولا أظنك تجعلين جمالك يوماً مصدر إزعاج لي.

خطف قوله أنفاسها، ونظرت إليه مشدوهة فراح يضحك ثانية على نظرتها المشبعة بالشك.

- يبدو أنك لا تعرفين المشاكل التي تواجه أعزب شهيراً، حين يريد تعيين سكرتيرة له.. أنا كسائر الرجال، أرغب في فتاة جميلة تعمل عندي، تكون بهجة للنظر، وترضي ذائقتي ولكن إن وظفت فتاة ترغب في أن تصبح السيدة باول، فسأقع في مشاكل ممتعة.. ارتكبت في وقت آخر مثل هذه الغلطة، واستخدمت فتاة تعمل الشهرة، وبريق العمل معي.

قالت شيلا بإشفاق ساخر:

- إن هذا لمريح لك حقاً!

ـ أتريدين أن أتجاهل عملي وإغراءاته؟ أنا أدير عملاً لامعاً ينظر إليه الناس نظرة مضخمة، أما أنت شيلا، فلا تربن في عالمي ما هو رومانسي.

ـ لا.. أبداً.

ـ وهذا ما يجعلك مرشحة رائعة للوظيفة.. فلن أحتاج إلى القلق بأن أجد نفسي ملاحقاً، صحيح شيلا؟

ـ لا، لن تقلق ولو بعد مليون سنة.

ـ هذا ما ظننته تماماً. آه، ستكون فريقاً رائعاً.. فأنت خطيبة رجل آخر، وهذا يعني أنك لن تطمحي في أن تصبحي زوجتي.

ردت بجفاء: «لن أمسّك ولو بسارية علم».

بدا المرح عليه: «لا أستطيع قول هذا».

فجأة تسارعت نبضات قلبها بجنون فانتزعت نفسها بعيداً عنه وتوجهت إلى السيارة. لحق بها ينظر إلى وجهها مدركاً الغضب الذي يجعّد بشرتها. وقال:

ـ سيكون العمل معي أكثر إثارة من العمل في مؤسسة لصناعة المعدات الكهربائية.

ـ لا أريد هذا العمل.

ـ يمكننا على الأقل أن نتناقش..

ـ لا!

فتح السيارة، فجلست في المقعد، ثم دار هو حول السيارة ليستوي في مقعد القيادة. وقالت بغيظ:

ـ أتسمح بإعادتي إلى الفندق.. أرجوك؟

هز كتفيه:

ـ كما تشائين.

أدار المحرك وقاد السيارة عبر أبواب الحديقة العامة الحديدية نحو زحام السير الخانق. كانت شيلا ما تزال غاضبة من العرض الذي قدمه لها. ولكن تصرفه معها حتى الآن جعل من الواضح أن القبول بالعمل هو مجرد توطئة للإقامة مع مجرم بحق النساء، وهي لا تثق به. فكرت في وجه ابنة عمها

الشاحب المحطم، وعاد الغضب يُعتم عينيها الزرقاوين. لقد كان عديم الرحمة في معاملته لها، ولا شك في أن ألثيا لو استسلمت إليه منذ الليلة الأولى التي أخرجها فيها معه لما طلب منها الخروج معه ثانية.. ولكن يبدو أن براءة الفتاة هي التي منعته من الوصول إلى مبتغاه.. فلا يمكن حتى لرجل مثله أن يفشل في معرفة البراءة في عيني ألثيا..

قال لها بهدوء:

ـ أظنك ترتكبين غلطة شيلا.. فأنا وأنت سننسجم معاً، فتحت هذا الغطاء الخارجي الرقيق امرأة صلبة قوية. أفهم، وأحترم الاندفاع العنيف الذي فشل خطيبك في ملاحظته في داخلك.. وأعترف أنني كنت أحاول إبعادك عن عيالك، فعندما رأيتك شعرت باندفاع يدفعني إلى تحطيم القمة التي تتربعين فوقها. قد يكون خطيبك سعيداً بالركوع أمامك، ولكن الركوع ليس من شيمي. أنا أعرض عليك مساواة عادلة وليس الجثو أمامك.

ـ اسمع.. أنا أحب وأحترم باول.

ـ هذا غير صحيح. فكيف يمكنك احترام رجل يقفز حين تحركين إصبعك؟ إن امرأة ذكية مثلك بحاجة إلى ند قوي. ولا أظنك تريدين أن تكوني الشريك الأقوى.. أتحدين أن باول يناسبك لأنك تستطيعين السيطرة عليه دائماً، وتديرينه كيفما شئت.

صاحت غاضبة:

ـ أنا لا أديره!

ـ بالطبع تديرينه. كان هذا واضحاً وضوح الشمس منذ وقعت عيناي عليك. شاهدتك من بعيد كيف تتصرفين معه فشعرت بأنني نصف متوتر وعصف متأثر. وأذكر أنه حين أبدى انزعاجاً قبّلته، وهذا ما كان كافياً ليعود هادئاً مرة أخرى. أنت ذكية جداً شيلا.. تعرفين كيف تسحبين السمكة بأقل جهد ممكن.

ـ توقف عن الكلام بهذه الطريقة عني! ربما تتصرف بهذه الطريقة مع النساء ولكنني لست مثلهن.

ـ نحن نتشابه في أكثر مما أنت مستعدة للاعتراف به.

كان لقوله تأثير غريب فيها، وبدا لها أن جسدها يحترق بحرارة شديدة غير متوقعة. جلست تحدق إلى الخارج، تقاوم ببأس أحاسيس كانت ترسل دمها حاراً في جسمها وتدفع أعصابها للتفز بعنف.. سأل وكأنه لا يعي تأثير ما يقول:

ـ ألست طموحة؟ إن عملك معي تمكنت من التقدم إلى أقصى حد، ولكنه ليس عملاً سهلاً بل يتطلب عقلاً راجحاً مفكراً وجهداً كثيراً.

توقف أمام الفندق والتفت ينظر إليها. كانت قد تمكنت، ولو جزئياً من السيطرة على نفسها. فتلاقت نظراتهما:

ـ غير أنني أحب العمل مع من أحترمه.

هز كتفيه بلا اكتراث، ومال إلى الأمام يفتح لها الباب كي تخرج ثم قال:

ـ يا للأسف.

ردت بصوت لاذع: «وداعاً سيد وود».

ضحك: «أصبحت تعرفينني أفضل من هذا شيلا، أراك قريباً».

صفقت الباب ودخلت إلى الفندق.

ساعة الغداء فكرت غاضبة في ما إذا كان في قول شاين المتعلق بطريقة تصرفها مع باول بعض الحقيقة. لم تكن تنظر إلى نفسها من هذا المنظار، ولا نظرت إلى باول على أنه رجل سهل الإدارة. التقت عيناها بعيني باول فابتسم لها بحب، ردت الابتسامة وعادت تنظر إلى طبقها. الحقيقة الكامنة وراء تلك الاتهامات اللاذعة المريرة التي تفوه بها شاين وود، هي أن باول يحبها أكثر مما تحبه. وهذه الفجوة هي المشكلة.

حين يحب شخص حبيبه أكثر مما يحبه هذا الحبيب تصبح العلاقة غير متوازنة. أحست بالقلق وهي تعترف بهذا. فأحدهما يعانق ويداعب، والآخر يتلقى العناق والمداعبة كواجب.. ولا بد أن باول يعاني من الضعف لأنه يحبها أكثر بكثير مما تحبه هي.

تحدثا وهما يرتشفان القهوة، وقال ببعض اللهفة:

ـ ما بك حبيبتي.. هل تحسين بالضجر؟

نظرت إليه مباشرة: «لا، بل أفكر».

ـ فيم تفكرين؟

ـ فينا.

ـ ماذا عنا شيلا؟

ـ كنت محقاً حين قلت منذ فترة إن من الجنون الزواج قبل أن نتأكد أكثر.

شحب وجهه، وأنزل فنجان قهوته من يده: «شيلا أنا».

ـ أرجوك، دعني أنهي كلامي باول. لقد كنت غير عادلة معك.. حين طلبت مني الزواج بك قبلت لأنني كنت متعلقة بك، ولكنني لم أكن أشعر بما تشعر به أنت نحوي. عرفت هذا حتى في ذلك الوقت غير أنني ظننت أن هذا لا يهم، وأننا سنحاول تجاوز الأمر بطريقة ما.

كاد يعجز عن إخراج السؤال من شفتيه الشديدتي الاصفرار:

ـ والآن؟

ـ إذا تزوجنا ونحن على هذه الحال فقد تقع كارثة، فعلى الحب أن يكون متساوياً. فإن تزوجنا كما خططنا فلن يمضي وقت قبل أن تبدأ برفضي وكرهي. وأظن أن عليك قبول الوظيفة في كوريا واعلم أن سفرك سيعطينا فرصة للتفكير ووقتاً لي لأعرف ما إذا كنت أحبك كما تريد أن أحبك..

نظر إليها والصدمة والذهول على وجهه.

ـ شيلا.. لو تركتك ستة أشهر، لخطفك رجل آخر مني.

هزت رأسها:

ـ أعدك أن لا يحدث ذلك إذا لم أقع في الحب.. وهذا يمكن أن يحدث حتى ولو تزوجنا اليوم.. فهل ستستطيع منعي إن وقعت في حب سواك؟ يستحسن أن نكتشف ذلك قبل الزواج لا بعده.

قال وكأنما لنفسه:

ـ آه، يا إلهي! كان عليّ أن أكبح لساني. أنا من وضعت هذه الأفكار في رأسك بعد حفلة الزفاف التي حضرناها. لقد حفرت قبري بيدي.

وضعت يدها على يده بلطف، تهز رأسها:

ـ كان سيحدث هذا، عاجلاً أم آجلاً، وكلانا يعرف أن ما قلته صحيح. فليس من الإنصاف لك ألا أستجيب لك بالطريقة التي تستجيب لي.

تنهد بمرارة: «نصف رغيف أفضل من لا شيء».

ـ ليس دائماً باول.

فتح شاين وود لها بصرها على حقيقة علاقتها بباول، لكنه كذلك فتح بصرها على حاجاتها الخاصة ومشاعرها. صحيح أنها تكرهه وتحتقره، ولكن ليس عليه إلا أن يلمسها ليحترق جسدها كله ويتحرك حياً. لم يؤثر فيها باول يوماً ذاك التأثير. ولكنها تعرف أن باول يشعر بما تشعر به هي عندما تكون مع شاين... وفكرة الزواج به وهي تعرف أنها عاجزة عن منحه الحب الكامل، أمر مرعب.. قد تكون ردة فعلها مع شاين جسدية ولكنها بيّنة واضحة. وتقديم ما يشبه ذلك لباول قد يكون أمراً قاسياً.. فله الحق بأن يعرف طعم مبادلته الحب الذي يقدمه. إن أي شيء أقل من ذلك، سيكون خارجاً عن الأخلاق.

تنهد باول طويلاً، وسأل:

ـ أتحاولين التخلي عني بلطف شيلا؟

ابتسمت له:

ـ بل أحاول إعطاء كل منا فرصة للتفكير برويّة. بعيداً عني ستتمكن من رؤية الموقف جيداً.

ـ وخطوبتنا. هل ستبقى قائمة؟

هزت رأسها إيجاباً: «حتى تطلب خاتمك».

ـ لن أفعل هذا.

لم ترد شيلا.. أحست بوجود شاين وود في الجانب الآخر من غرفة الطعام مع أنها لم تدر رأسها ولكن أذنيها التقطتا رنة صوته القاتمة وسمعت رنة ضحكة فضية رداً عليه.. إنه مع امرأة.. إذن ستتمكن من الاسترخاء حالياً، فما دام مع امرأة فهذا يعني أنه لن يشكل تهديداً لها.

نظر باول إلى ساعته:

ـ حان وقت الجلسة الثانية.. وعليّ الذهاب.

وقفت شيلا معه:

ـ سأسير معك، وأظنني سأتفرج قليلاً على هذا الجزء من لندن بعد

الظهر.

أدركت أنه مصدوم ونظرت إليه بإشفاق وحنان. ودست يدها بيده وشرعت أصابعه تلتف عليها، تشد بلطف.. ضغطت كتفها إلى كتفه مبتسمة:

ـ لا يتجهمنّ وجهك هكذا، حبيبي إنها ستة أشهر فقط.

ـ إنها بالنسبة لي عمر كامل.

وفيما كانا يهمان بالخروج من غرفة الطعام، عجزت عن مقاومة إغراء الالتفات فالفضول بشأن المرأة التي ترافق شاين وود كان يتآكلها ولكنها كبحت نفورها، وركزت اهتمامها على باول.. وعندما كانا يغادران الفندق التقيا بيتي وجوردن اللذي حياهما بحماس، وساروا معاً يتحدثون، ثم تركتهم شيلا، وانطلقت في مشوار طويل في شوارع لندن.

عادت إلى الفندق في وقت متأخر من بعد الظهر، وصعدت إلى غرفتها لتستحم استعداداً للمساء. كانت تجفف جسمها حين رن جرس الهاتف. ولكنها شعرت بصدمة كهربائية عندما تعرفت إلى الصوت الآخر الذي سألها بصرامة:

ـ أين كنت طوال العصر؟

وجدت لبرهة صعوبة في التنفس ثم تظاهرت بالجهل:

ـ من المتكلم؟

سمعت ضحكة منخفضة:

ـ انزلي إلى المقهى وشاركيني القهوة شيلا.

ـ خرجت لتوي من الحمام. وأخشى ألا أتم ارتداء ملابسي قبل وقت طويل.. وداعاً.

لم تتوقع منه قبول رفضها ولكن ويا للدهشة انقطع الخط. نظرت إلى الساعة، ثم هزت كتفيها وأعادتها إلى مكانها، واتجهت ثانية إلى الحمام تنهي ما بدأته.. ارتدت روباً أبيض واسعاً، وشرعت تنتقي ثيابها وتضعها فوق السرير.. حين انفتح الباب التفتت وقلبها يكاد يقفز من بين جنباتها. وهرعت بذهول وارتباك.

ـ اخرج من هنا . . اخرج قبل أن أستدعي إدارة الفندق .
ـ تركت بابك دون أن توصديه ، فظننتك تشيرين إليَّ أن أدخل .
تذكرت أنها تركته دون إيصاد حين قالت الخادمة إنها ستأتي لتأخذ محتويات سلة المهملات ولكنها نظرت إليه بجفاء :
ـ تعرف جيداً أنني لم أكن أتوقع قدومك .
ـ إذن ، أنت حمقاء أكثر مما ظننت . لا شك أنك عرفت أنني سآتي منذ أن قلت إنك خرجت من الحمام لتوك .
ـ أيها . . .
تمتم بقاطعها :
ـ قلت هذا متعمدة . يا إلهي ! حتى خيالي لم يكن ليتصور روعة جمالك وأنت على هذه الحال .
تراجعت وعيناها مذهولتان من نظرته إليها ، وقالت بضعف بعدما مد يده لها : «لا» .
همس : «بلى شيلا» .
تراجعت مرتجفة ولما اصطدمت ركبتيها بحافة السرير اختل توازنها وسرعان ما أمسك بها . تبادلا النظرات للحظات . كانت أنفاسها حارة ومؤلمة ، ثم صدر عنه صوت أجش ، وتابع انحناءه بضمها إليه ، فتلاشى كل تفكير منطقي سوي من رأسها .
أصابها عناقه الشغوف بالدوار فأغمضت عينيها ، وتقوست بمرارة . كانت أناملها ترتجف وهي تتسلل إلى صدره حيث يخفق قلبه بقوة . مد يده يرجع خصلات شعرها عن وجهها ، وتحركت يداها إلى مؤخرة رأسه .
أيقظهما صوت أجش من مشاعرهما العنيفة . التفتت شيلا مغشية البصر وأحست بصدمة هائلة تجتاحها حين رأت باول واقفاً في الباب يحدق إليهما بوجه شاحب شحوباً شديداً .
لم تستطع الحراك أو الكلام . وبدا الصمت يمتد إلى ما لا نهاية . ثم استدار باول على عقبيه وخرج .
قال شابن وود بصوت جاف أجش بارد :

ـ لا بد أنني نسيت إيصاد الباب خلفي .
التفتت إليه . ورأته كما رآه باول . كان قميصه مفتوحاً وشعره مشعثاً خير دليل على أنه رجل كان غارقاً في الحب .
قالت بمرارة :
ـ هل خططت لهذا سيد وود ؟ أرجو أن تكون راضياً عن نفسك بعد ما حدث ؟
نظر إليها متجهماً : «ولكن التنفيذ بحاجة إلى شخصين شيلا» .
زال شحوبها أمام موجة قرمزية حارة . وتابع يقول وعيناه تجوبان جسدها :
ـ لم يكن هناك مقاومة هذه المرة . . صحيح ؟
همست وهي تحس بالغثيان : «لقد ظن أننا . . .» .
ـ ظن أننا نفعل ما كنا نفعل بالضبط .
هزت رأسها مشتتة : «لا» .
اشتد ضغط أصابعه على وجهها ، يمسك رأسها لئلا تشيح نظرها عنه .
ـ لو كنت صادقة مع نفسك لعرفت هذا .
همست وهي تكاد تبكي : «أيها الخنزير القذر !» .
ـ لماذا ؟ ألأنني أقول الحقيقة ؟ قبل أن يدخل كنت مستعدة للاستسلام لي .
صفعته على وجهه بقسوة آلمت راحة يدها . ولكنه لم يتحرك ، ولم يرد بشيء فعلت :
ـ لقد ضربتني ثانية شيلا رددت لك الضربة . سأكتفي هذه المرة بالتحذير .
صاحت به :
ـ اخرج من هنا . . اخرج من غرفتي ومن حياتي . . وابق بعيداً عني !
ابتسم ساخراً ثم نهض عن السرير . التقط سترته ورتب قميصه ، بيدين ثابتتين .
راقبته شيلا بمرارة وهو يتوجه إلى الباب وهناك توقف ليلتفت إليها وعيناه تجولان على جسدها بشكل مهين ، ثم قال بصوت ناعم :
ـ سأراك فيما بعد .
وغادر الغرفة .

٤ ـ في قلب النار

بعد خروج شابن وود ارتدت شيلا ملابسها بسرعة، وصعدت إلى الطابق التالي لتواجه باول. وفيما كانت ترتدي ملابسها شعرت باندفاع إلى كتابة رسالة له وإلى توضيب ثيابها لترحل بدون أن تراه. ولكن احترامها لنفسها جعلها تدرك أن الهرب من الموقف عمل جبان.

فتح لها الباب حين قرعت، ونظر إليها، والكلل في عينيه. تراجع بصمت، فدخلت. كان رأسها الأشقر عنياً وشعرت لأول مرة في حياتها بمرارة الإذلال. لقد آلمت باول وجرحت كرامته جرحاً عميقاً وهي تكره نفسها بسبب ذلك.

وقف باول ويداه في جيبيه ينظر إلى الأرض فنظرت إليه تتأمل خطوط المعاناة على وجهه. همست مرتجفة: «أنا آسفة باول».

ساد الصمت. ثم رد بصوت غير مألوف:

ـ كان عليك أن تخبريني. ما كنت مضطرة للخداع.

ـ خداع؟

رفع رأسه، وطعنتها عيناه كخنجرين:

ـ كنت تحاولين إرسالي إلى كوريا لتتخلصي مني.. ما دمت تريدينه. فلماذا لم تخبريني؟

ابتلعت ريقها بصعوبة:

ـ ليس الأمر كما تصف. أنت مخطىء باول. فقد كنت صادقة بشأن سفرك ولكنني آسفة لأنني لا أبادلك المشاعر ذاتها. باول لا أريد أن أكون غير متساوية في الحب ولكنني لا أستطيع شيئاً. لم أكن أحاول إرسالك بعيداً لأنني أريده. ولكنني فكرت أنه ما دام استطاع التأثير فيّ إلى هذه الدرجة فمن الخطر الاستمرار بخطط الزواج.. أما بالنسبة له، فأتمنى ألا تقع عيناي عليه مجدداً لأنني أحتقره!

نظر إليها وعيناه البنيتان تفتشان وجهها:

ـ تحتقرينه؟ يا إلهي شيلا وهل أنا أعمى؟ إن نظرة واحدة إليكما أعلمتني بما هي حقيقة مشاعرك نحوه.

احمرّ وجهها بشدة، وقالت بغضب وذل:

ـ المشاعر ليست الكلمة المناسبة.. فلا علاقة للمشاعر بما جرى.

ـ لولا دخولي عليكما لكنت الآن بين ذراعيه تتذوقين طعم حبه.

طأطأت رأسها ولم تنكر:

ـ لا أحب تصرفي ذاك.. ولك كل الحق في أن تغضب مني.. كنت سأعود إلى منزلي تاركة لك رسالة، ولكنني لم أستطع أن أكون جبانة. أنا لا أطلب منك مسامحتي بل أردت إعطاءك فرصة لقول ما تريد لي.

ساد صمت غريب، ثم رفعت رأسها ببطء فرأت ابتسامة غريبة تلتوي على فمه.

ـ أنا آسف لأنني نعتك بالمخادعة.. فأنت لست مخادعة!

تنهدت، ثم نزعت خاتم الخطوبة ومدت يدها به إليه، لكنه نظر إليه بهز رأسه:

ـ قلت إنك ستضعينه في أصبعك حتى أطلبه.

ـ كان هذا قبل...

ـ كل ما تغير أنني اكتشفت أن بالإمكان الإطاحة بتوازنك بسهولة شيلا.. طالما تساءلت عما إذا كنت منيعة أمام مشاعر كهذه.. أحس بالمرض من الغيرة لأن رجلاً آخر أظهر لي أنك لست هكذا.. ولكنني ما زلت أتمسك بك.

تراجعت.. تهز رأسها:

ـ لا، باول، هذا غير عادل.

ـ قلت إنك تأملين ألا تريه ثانية.. لم يكن ما بينكما علاقة جادة؟ لم تستسلمي إليه أليس كذلك؟

ـ لا..

ـ وأنت واثقة أنك لا تحبينه؟

ـ بل أكرهه.

ـ إذن فليبق خاتمي في يدك شيلا. وإن رغبت في إعادته إليّ حين عودتي رضخت للأمر، أما الآن فاحتفظي به.

ـ هذا غير منطقي باول. كيف يمكن أن تشرح أمراً كهذا بعد...

ـ فقدت عقلك حين غازلك رجل ذو تجربة، ألا تذكرين تأثيره في ابنة عمك؟ أظنه يدأب على القيام بذلك. ولو عرفت أن هذا هو الأمر فقط للكمته على وجهه، ولكن ما رأيته صدمني وظننت أنك تحبينه. خشيت دوماً أن تقعي في حب شخص آخر وظننت أن ما كنت أخشاه وقع الآن.

تنهدت تنهيدة عميقة:

ـ من حقك أن تغضب.. ولا تكن متفهماً لأنني لا أستحق ذلك.

ضحك غاضباً:

ـ يا إلهي شيلا.. أنت تسعين دوماً إلى المشاكل!

أمسك بمرفقها يجرها إليه، ينظر إلى وجهها وعيناه ملتهبتان.

ـ منذ دخلت إلى الغرفة اللعينة وصورتك تدفعني إلى الجنون. لأول مرة منذ لقائي بك أراك بلا ذاك القناع البارد. ولكن ذلك حدث بين ذراعي رجل آخر.

ردت بوهن: «أنا آسفة».

ضحك ضحكة متهجمة: «آسفة؟»

رأت نظرة ملتهبة في عينيه، فتراجعت ولكن قبضته كانت شديدة. رماها على السرير، ثم انضم إليها حيث راحت يداه تثبتانها بقسوة.. جعله يأسف منيعاً أمام مقاومتها.. أحست أنه للمرة الأولى يفقد السيطرة على نفسه.. ففي الماضي كان يكبح عواطفه عندما يغازلها، أما الآن فقد فَقَدَ اتزانه. قاومته ولكن حركاتها زادت من عنفه، فتوقفت عن المقاومة، واستلقت ساكنة جامدة بين يديه.

همس لها بحب:

ـ يا إلهي شيلا ما أشد شوقي إليك.

تأثرت وأشفقت عليه، فلامست رأسه. رفع وجهه ينظر إليها وأنفاسه

متحرجة. نظرت إليه بلطف وفي عينيها شفقة، فأغمض عينيه قليلاً وتغضن وجهه من الألم ثم ارتد ليجلس مديراً ظهره لها.

ـ هذا لا يفيد! أنت لا تشعرين نحوي بشيء أبداً.

ـ آسفة باول.

ـ بالله عليك توقفي عن الأسف.

ـ ليس لدي ما أقول غير الأسف.

ـ إنني أخدع نفسي إن أملت أن تقعي في حبي بعد ستة أشهر.. وأشك في أنك شعرت يوماً بما هو أكثر من العطف علي.

ـ لكنني أحبك بطريقة ما.

ـ كلا.

تأوهت، وخنقت صوتها الدموع.

ـ أوه.. باول.. لا أريد أن أؤلمك.

وقف ثم قال متجهماً:

ـ نحن على الأقل غير متزوجين، وأحمد الله على ذلك.

خلعت خاتمها مجدداً، ووضعته على السرير.. فنظر إليه بمرارة. قالت بهدوء:

ـ سأسافر الليلة.. أنا عائدة الآن إلى غرفتي لأوضب حقيبتي.

لم يرد باول بل نظر إليها بدون أن ينبس بكلمة ولكن النار كانت متأججة في عينيه البنيتين.

غادرت شيلا غرفته ببطء وعادت إلى غرفتها. حين أنهت توضيب ثيابها دفعت وسددت فاتورة الفندق.. ثم أحضر لها البواب سيارة أجرة لتستقلها.

حين وصلت إلى بلدتها ذلك المساء نظرت إليها أمها بحيرة:

ـ لم عدت باكراً..؟ هل حدث شيء؟

مدت شيلا يدها الفارغة من الخاتم.

ـ فسخت خطوبتي أمي. ولا أريد مناقشة الموضوع. أتخبرين أبي؟

رفعت السيدة تراوت حاجبيها:

ـ أهذا كل ما ستقولينه لنا شيلا؟

ردت شيلا وهي تتأهب للذهاب إلى غرفتها:

ـ ليس هناك ما يستحق النقاش.

لم يصر والداها يوماً على مناقشتها شؤونها الخاصة. كانا مشغولين بإدارة متجر الملبوسات في بادفور، وليس عندهما الوقت الكافي للتدخل في شؤون ابنتهما..

في الأيام التالية، واجهت صعوبة في السيطرة على أعصابها أمام الأسئلة التي كانت توجه إليها. كان لفسخ خطوبتها صدى في المنطقة، وهذا ما أثار توترها؛ لأن معظم ما قيل كان يؤذي باول.. فالشائعات التي نقلتها إليها أمها كانت تضع اللوم عليه.

سألتها أمها:

ـ أصحيح أن لباول فتاة أخرى في المؤسسة التي يعمل فيها شيلا؟ يقولون إنها حمراء الشعر رافقته إلى لندن أيضاً؟ هل ضبطهما معاً؟

ردت شيلا بغضب: «لا، إن ما يشيعونه أكاذيب».

ولكنها رغم ذلك لم تخبر أمها الحقيقة لأن الحقيقة محرجة.. ذلك المساء قررت الذهاب إلى السينما، فهي بحاجة إلى الخروج من المنزل ولو قليلاً. حين سارت في شارع البلدة الرئيسي وجدت نفسها وجهاً لوجه مع باول، فنظر إليها متردداً.. احمر وجهها وكادت تتجاوزه ولكنه أوقفها لسألها بخشونة:

ـ لا شك أننا نستطيع تبادل الأحاديث شيلا؟

نظرت إليه متوترة: «كيف حالك باول؟»

رد ساخراً: «من الواضح أن سمعتي تكاد تبلغ عنان السماء في الوقت الحاضر».

امتقع وجهها، أكثر من اللازم، وأشاحت بصرها متمتمة:

ـ أنا لم أنسج تلك القصة السخيفة.. فقد رفضت قول كلمة. وأعتقد أن الناس راحوا يملؤون الفراغات التي يجهلونها بروايات خاصة بهم.

ـ وأنا شاكر لك هذا.

ـ لا تكن غاضباً باول.

ـ غاضب؟ ولماذا أغضب؟ زملائي في العمل يعتقدون أنني شاب لعوب

ضُبط بالجرم المشهود، ويحسدونني على مغامراتي المفترضة. كما أن بيتي بدت راضية غير منزعجة.

ابتسم متجهماً، وأكمل والسخرية تملأ عينيه:

ـ يبدو أن سمعتها ارتفعت كالصاروخ منذ بدء الشائعات، ولكنك ظلت شفقتهم فجميعهم يبدون أسفهم عليك.. ولكنهم يضحكون أيضاً عليك من وراء ظهرك.

ردت عليه نظرته الحادة وقالت بهدوء:

ـ أعرف هذا، وأشعر بضحكاتهم إنما ليس من وراء ظهري.

قال ساخراً:

ـ مسكينة شيلا. لا تأبهي ستنتهي قريباً الثرثرات. أنا مسافر إلى كوربا في نهاية هذا الأسبوع وعندها سيتبخر كل شيء. وافق رئيسي على طلبي بسرعة، فقد سمع القصة ويظنني أرغب في الهرب قبل أن تجبرني بيتي على الزواج بها.

نظرت إليه من بين أهدابها، وتمتمت:

ـ آسفة باول.

تباطأ وقع الأقدام خلفهما فالتفتت شيلا وإذا بها ترى وجوهاً مألوفة. ازداد تضرج وجهها وقالت متوترة:

ـ يجب أن أذهب.

أمسك بمعصمها قبل أن تتحرك. ثم أحنى رأسه من فوق كتفها إلى الأشخاص الثلاثة الواقفين خلفهما، وقال باختصار «مرحباً» ردوا في آن واحد على تحيته، وتابعوا السير، ولكن نظراتهم الفضولية ظلت ترافقهما. كانوا جميعاً من مؤسسته وهم يموتون شوقاً لمعرفة ما يقوله لها.

نظر باول إليها غاضباً ثم قال ببرود:

ـ عانقيني على الأقل عناق الوداع شيلا، وسيغذي هذا العناق الشائعات مرة أخرى. وقد تتطاير شائعات الصلح بيننا حتى يدرك الجميع أنني رحلت.

أجفلتها المرارة في صوته:

ـ لا تقل هذا باول.

ولكنه أحنى رأسه بعانقها فوقفت هنيهة بدون أن تقاوم ثم انتزعت نفسها

منه وانطلقت بالمسير.

في الصباح التالي ذهلت وارتبكت ذلك أنها تلقت رسالة مطبوعة على الآلة الكاتبة من لندن. فتحت المغلف وبدأت تقرأ الرسالة، فتقبض وجهها حتى جرفتها موجة غضب جامحة.. كانت رسالة رسمية، تشكرها لأنها قدمت طلباً لنيل مركز السكرتيرة، وفي هذه الرسالة دعوة للمجيء لتقوم بمقابلة الرئيس. قرأت التوقيع العريض عدة مرات بعينين ملتهبتين.

كانت على وشك تمزيق الرسالة، ولكنها عادت فغرقت في غضب مرير.. فسارت كالأموات إلى الهاتف، واتصلت برئيسها، تطلب إجازة ليوم واحد لأسباب خاصة، وكان متعاطفاً معها بشكل غريب، وحثها على طلب الراحة في هذا اليوم.

ـ ليس لدينا عمل كثير اليوم آنسة تراوت. وأنا واثق أننا قادرون على تدبير أمورنا بدونك.

أدركت أنه يعتقد أن اكتشافها المزعوم لخداع باول هو سبب تغيبها، وجعلتها سخرية الموقف تبتسم بمرارة.

عادت إلى غرفتها لتختار أفضل فساتينها وهو فستان أسود اللون، يلتصق بجسدها، ويبرز اشقرارها ويضفي عليها ثقة بالنفس. وبهذا الثوب شعرت بأنها قادرة على تحدي شاين وود ومواجهته. في الطريق إلى لندن كانت تراجع في ذهنها ما ستفعله في مكتبه وقد تصورت أموراً كثيرة ستفعلها ولكنها كانت متأكدة من أنها ستقوم بعمل واحد لا غنى عنه: ستمزق رسالته المهنية اللعينة وترميها في وجهه قبل أن تغادر مكتبه.

حين وجدت مكاتب الشركة الدولية للمصارف وقفت خارج المبنى تحدق في النوافذ بقلب وجل. أثناء الرحلة بالقطار تصورت نفسها تقدم على أعمال عنيفة أما الآن فتشعر بأن شجاعتها تتضاءل وتخبو.

لكنها سوّت وقفتها جيداً ثم دخلت إلى الردهة حيث ابتسم لها بواب يرتدي بذلة رسمية ذهبية الأزرار، مشجعاً:

ـ هل أستطيع مساعدتك آنسة؟

ردت بصوت أجش: «أريد مقابلة السيد وود».

ثم قدمت له الرسالة ليراها:

ـ لا أستطيع الانتظار حتى الغد.

نظر إليها وهو يقرأ الرسالة، ثم قال:

ـ آنسة تراوت! إن اتخذت المصعد إلى الطابق العلوي وجدت نفسك في مواجهة باب مكتب السيد وود مباشرة، وستحل الآنسة كولتر مشكلتك.

استخدمت شيلا المصعد ثم لما وصلت إلى الطابق المنشود خرجت إلى ممر طويل مطلي بلون عاجي.. قرعت الباب المقابل فسمعت صوتاً يأذن لها بالدخول. نظرت إلى الفتاة التي واجهتها متوترة:

ـ آنسة كولتر.

ابتسمت الفتاة بطريقة ودودة.. كانت فاتنة الجاذبية، طويلة القوام رشيقة الجسد ترتدي تنورة سوداء وبلوزة بيضاء. شعرها كستنائي. ابتسمت لها البنيان لشيلا:

ـ أنت الآنسة تراوت؟ اتصل بي تود بشول إنك قادمة.

ـ تود؟

ـ الحارس. ما من أحد يخرج أو يدخل بدون أن يراه تود. إن عملت هنا ستراه كثيراً.

ابتسمت مجدداً فبانت أسنانها البيضاء المتساوية:

ـ سيراك السيد وود حالاً. أنت محظوظة. اعتقد أنك ستصلين باكراً على بعض مواعيده اليوم. صدقيني إنه بحاجة لسكرتيرة ماهرة. إنه يعمل الكثير، ويجب أن ترعيه لئلا يبالغ في عمله.

مالت إلى الأمام تضغط زراً على طاولتها:

ـ آنسة تراوت هنا سيد وود.

رد الصوت الذي يصيبها بالجنون: «أرسليها فوراً».

قالت الآنسة كولتر بهدوء:

ـ عبر ذلك الباب.

دخلت شيلا من الباب الذي أغلقته وراءها.. وهناك في المكتب الفخم الواسع، رأته جالساً على كرسيه تلمع السخرية في عينيه.

حالما رآه بلغ غضبها ذروته حتى كادت معه تعجز عن الحركة، ولكنها دفعت نفسها إلى الأمام لتقترب منه. نظرت إليه بشراسة ثم مزقت الرسالة إرباً إرباً ورمتها في وجهه.

ضحك بصوت منخفض:

ـ أراهن أنك خططت لهذه المسرحية منذ استلمت المغلف..

أغضبها رده السليط:

ـ كيف تجرؤ على إرسال هذه الرسالة؟ تعرف جيداً أنني لم أتقدم لهذه الوظيفة، وتعرف أنني لا أريد مقابلتك.

بدت التسلية المرحة على فمه: «ولكنك جئت».

ـ فقط لأقول رأيي بك.

ارتد في كرسيه وملء عينيه تلك السخرية الخاصة:

ـ أعرف رأيك بي شيلا. اجلسي لتسمعي على الأقل إلى تفاصيل الوظيفة.

ـ لن أقبل العمل ولو ضاعفت أجري أربع مرات.

رد بوقاحة:

ـ لكنك لا تستحقين أربعة أضعاف أجرك. أنا أعرض عليك راتباً يوازي قدراتك.

ـ أفضل العمل المجاني على العمل عندك.

وارتدت على عقبيها. ولكنه كان قريباً حتى قبل أن تخطو بضع خطوات. جذبت ذراعها منه: «اتركني، تبّاً لك».

ـ لكنك هنا. وكنت أعرف أنك قادمة.

تبادلا التحديق بصمت للحظات ثم دفعها غضبها الشديد إلى صفعه. ولكنه أمسك يدها قبل أن تصل إليه، وجعلها تتلوى بين يديه.

ـ قلت لك آخر مرة إنني سأضربك إن ضربتني.. وأنا أعني ما أقول. والآن اجلسي.

دفعها إلى كرسي، وجلس على حافة مكتبه على مقربة منها. حين لاحظت كيف ينظر إلى يدها خبأتها في تنورتها.

ـ تأخرت شيلا.. لقد لاحظت أن يدك خالية.. وأظن أن الخطوبة

انتهت.

ردت بمرارة: «والفضل يعود إليك».

هز كتفيه: «أنت لم تغرمي به قط».

وقفت متشنجة، تواجهه بغضب حارق.

ـ جئت إلى هنا لأقول لك إنك قذر، خنزير، ولأؤكد إني لن أقبل الوظيفة أبداً. كما لا أريد سماع شيء عنك مرة أخرى!

ارتدت على عقبيها تهم بالخروج فأحست به يتحرك.. في تلك اللحظة انفتح الباب ودخلت إلى الغرفة فتاة راحت تتقل عينيها من شيلا إلى شابن. وقالت بطريقة مغناج:

ـ شابن حبيبي.. حاولت سكرتيرتك إبعادي، ولكن يجب أن أكلمك.

تجاهلت وجود شيلا ودنت منه، تضع ذراعاً رشيقة حول عنقه:

ـ ألن تذهب إلى الحفلة الليلة؟ لم ترد على الدعوة حتى الآن وأمي تتساءل ما إذا كنت قادماً..

نظر إليها مبتسماً ابتسامة طفيفة:

ـ طبعاً أنا قادم ڤيكي.. ولو اتصلت بي لأخبرتك ذلك. فأنا مشغول بالمقابلات اليوم، لذلك لن تتمكني من التوقف هنا الآن.. هيا، اركضي حبيبتي، وسأراك الليلة.. أعدك.

كشرت في وجهه ممازحة. كانت في حوالى العشرين من عمرها. شعرها أسود أجعد، وعيناها خضراوان واسعتان ومظهرها بشكل عام يدل على صغر سنها، ولكن ملابسها الفاخرة تعوضها عن صغر السن.

إذن هذه هي ڤيكي مارشال.. لا عجب إذن ألا يكون للمسكينة ألثيا فرصة معه.. يا لهذه المنافسة! كل ذرة في هذه الفتاة جذاب بشكل مدمر. أما ثقتها بنفسها وبسمتها العذبة فتنمان عن علاقة حميمة قائمة بينها وبين شابن وود.

أدركت شيلا أن فرصتها للخلاص قد حانت فهو مشغول بتلك الفتاة. همت بالتوجه نحو الباب المفتوح، ولكن يده تسللت إليها وأمسكت بها توقفها وقال ببرود:

ـ لا تذهبي الآن آنسة تراوت . . فلم أنته بعد من تحديد تفاصيل الوظيفة .

التفتت ڤيكي مارشال تنظر إليها تتأمل جمالها الأشقر البارد المتوتر وفستانها الأسود الضيق الملتصق بها وكأنه بشرة ثانية لها وأناقتها الرشيقة .

أحست شيلا بأن الفتاة الصغيرة تشعر بالغيرة والارتباك ، فقالت ببرود رداً على شاين :

ـ أظننا قلنا كل ما علينا قوله سيد وود . ولا أظن أن هذه الوظيفة تناسبني .

لاحظت ڤيكي مارشال اللهجة الباردة برضى . قال شاين بحدة :

ـ مع ذلك ما زال لدي ما أقوله لك .

نظر إلى ڤيكي :

ـ أتسمحين حبيبتي ؟ أراك لاحقاً .

نظرت ڤيكي إلى شيلا ، ثم هزت كتفيها ، تلاحظ الطريقة التي يمسك شاين بها بمعصم شيلا . وغضّن العبوس جبينها قائلة :

ـ هل لي بكلمة على حدة ؟

تردد وعلى وجهه التجهم . . فترك يد شيلا وسار مع ڤيكي إلى الباب حيث همس له ، بصوت مسموع :

ـ لا تعجبني . . لا توظفها .

حدق شاين للحظات إلى العينين الخضراوين ، ثم ابتسم بسحر قبل أن يهمس :

ـ عجوزة . . أريد أن أؤدي عملي كما أشاء . فهل من مانع ؟

أحست شيلا بغيرة ڤيكي . كانت العينان الخضراوان تنظران إليها بغضب ، ثم خرجت الفتاة من الغرفة ، تصفق الباب وراءها .

استند شاين وود إلى الباب المقفل ، وذراعاه معقودتان ينظر إلى شيلا التي كانت تفكر في ألثيا . . إنه يتصرف بطريقة خاصة مع الفتيات الصغيرات ، ليصبحن مطيعات حتى وهن يشعرن أنه بعيد عن منالهن . ولكن ڤيكي مارشال لم تكن مثل ألثيا ، فعائلتها الثرية تحميها . وتذكرت شيلا ما قالته لها ألثيا ، فقد كان واضحاً أن شاين وود ينوي الزواج بالفتاة يوماً . إنها الفتاة

المناسبة له ، جميلة ومن عائلة ثرية ، وأنيقة . واستطاعت شيلا أن تعرف من الطريقة التي كان ينظر فيها إليها أنه لا يحبها . . بل كان متسامحاً عابثاً معها . . وفي مثل هذا الزواج سيكون هو الشريك المسيطر . فجأة تذكرت أنه كان قد اتهمها بأنها تفضل أن تكون هي المسيطرة في علاقاتها . وقال لها كذلك إنهما متشابهان . . ولو تزوجت باول ، لكان على حق . حين يحب أحد الشريكين الآخر كثيراً ويكون الثاني لا يبادل شريكه الشعور يزجان نفسيهما في موقف ضعف وأحست شيلا بالأسف على ڤيكي مارشال .

قال لها بلهجة حذرة :

ـ تناولي العشاء معي الليلة .

ردت ببرود : «ولكن ألا تذكر أنك ستذهب إلى الحفلة ؟»

هز كتفيه : «سأذهب إليها متأخراً» .

التوى فمها سخرية : «ليس بسببي أرجوك» .

ـ ما الأثر الذي تركه فسخ الخطوبة ؟ لا شك في أن الخبر دفع الأقاويل إلى الانتشار .

تلقت نظرته بهزء :

ـ رفض كل منا مناقشة الأمر وهكذا نسجت الشائعات قصصها الخاصة .

ـ وما هي ؟

ـ أنني ضبطت باول مع بيتي ، وأنني فسخت الخطوبة بغضب وغيرة .

ـ إذن نلت العطف ؟ إن هذا لمجحف بحق باول .

ـ يبدا سعيداً بغروره . . فلم يضر هذا بسمعته بين الرجال .

ضحك : «وماذا عن سمعتك ؟»

ردت ببرود :

ـ أنا أعيش دور المرأة المهجورة وفي هذا الأمر ما يدعو للهزء والضحك والتعليقات الخبيثة .

نظر إليها بفضول :

ـ هذا أمر مقرف ! ويدهشني أنك لا تريدين الابتعاد عن هذا كله .

ـ يقول باول إنها شائعات ستطوف ثم تنبخر .

ابتعد عن الباب . وقال بصوت فيه بعض الخشونة :

ـ أكنت تريده؟ أليس للرجل كرامة؟ هل اقترح العودة إلى الخطوبة؟

تراجعت شيلا أمام تقدمه حتى اصطدمت بالطاولة :

ـ سيسافر إلى كوريا مدة ستة أشهر .

صمت لحظات ثم قال بهدوء :

ـ ستستمتعين بالعمل هنا شيلا . . دعي الآنسة كولتر تشرح لك طبيعة العمل وفكري في الأمر بعد ذلك .

قطبت في وجهه تسأل :

ـ لماذا تريد أن أقبل؟ إن كنت تظن أنني . .

قاطعها بحزم :

ـ أظنك ستكونين سكرتيرة مفيدة لي . لقد ذكرت أسبابي ولا أنوي استخدام من قد تفكر بمحاولة إيقاعي في فخ الزواج . . وأنا واثق أنك لن تفعلي ذلك أبداً .

ـ ولا أريد كذلك علاقة معك مهما كانت صغيرة .

ـ عظيم وستطمئن فيكي إلى هذا .

ـ لكنها لن تسر إذا وظفتني !

ـ عرفت أنك سمعت همسها ، فيكي مستغار ولو وظفت امرأة تشبه أمها الشبيهة بالدراكولا . . ولكنني لن أجد صعوبة في إقناعها بالقبول بك .

لا . . لن يجد صعوبة في إقناع فيكي مارشال بأي شيء ، فهو معتاد على تنفيذ ما يريد . إنه يريدها سكرتيرة لأنه يريد أن يغويها من أجل علاقة ما . لقد أوضح رغباته منذ لحظة لقائهما الأول . لكن شيلا ، اكتشفت فجأة رغبة خاصة بها ، رغبة في الانتقام من شاين وود لنفسها ولألثيا معاً . إنه يستخدم سحره دائماً ولكنها لن تقع في حبائله ، كما حدث لألثيا .

ربما يقدر على سحر فيكي مارشال لتصدق أنه ليس مهتماً بها ، ولكنه يوماً ما ، ستنقلب الطاولات في وجهه وتنتقم . فعاجلاً أم آجلاً ستتاح لها فرصة تدمير كل فرصة للزواج بفيكي . . لو كان يحبها حقاً لما استطاعت التفكير بمثل هذه الفكرة . . أحست بالشفقة ولكن ، قد يكون من المفيد لتلك الفتاة إظهار

نوع هذا الرجل الذي تحب .

قالت ببطء : «سيد وود» .

رد بسرعة : «اسمي شاين» .

رفرفت بعينيها ورفعت بصرها إليه ، تنظر بمرارة إلى وجهه القاسي الوسيم .

ـ أقبل الوظيفة بناء على شرط واحد .

ـ ما هو؟

رفعت عينيها إليه ببرود :

ـ شرط أن يكون ما بيننا علاقة عمل فقط ، وإن حاولت شيئاً ما تركت العمل فوراً .

التوى فمه : «موافق» .

وتبادلا النظرات العميقة . كانت تعرف في أعماق نفسها أنه لن يفي بوعده ، وكان يعرف هو أنها تعرف تحفظه المكتوم . أضاء عينيها تحد مرير . . قالت :

ـ أعني ما أقول . . فلو حاولت لمسي لندمت .

قال ساخراً :

ـ لقد أوضحت فكرتك شيلا وفهمتها جيداً .

ولكنه لم يفهمها البتة . حين رمت بشرطها هذا فكرت في أنها إن حاول فيما سنعى إلى إخطار فيكي وإجباره على قطع وعد بإبعاد يديه عنها . والآن إن نكث بعهده أوقع على نفسه العقاب . ولو حافظ عليه ، فلن تقول أو تعمل شيئاً قد يفسد خطته بالزواج من الفتاة المسكينة .

قال ببطء ، وهو ينظر إليها عابساً : «حسناً ، هل اتفقنا؟» .

هزت رأسها إيجاباً ، ولو على مضض . لن تجد العمل معه سهلاً ، ولكنها قررت أن الوقت قد حان ليلقنه أحد ما درساً .

ـ اتفقنا .

دار حول مكتبه وجلس ، يضغط زراً :

ـ ادخلي آنسة كولتر .

التفت إلى شيلا مردفاً:

ـ سأتركك معها لتشرح لك ماهية عملك. الآنسة كولتر سترحل بعد أسبوعين. متى تستطيعين البدء بالعمل؟

ـ يجب أن أعطي رب عملي إنذار أسبوع على الأقل.

ـ قدمي استقالتك غداً إذن. إن بدأت العمل بعد أسبوع فستقدر الآنسة كولتر على إرشادك إلى طبيعة العمل.

ـ أظن هذا ممكناً.

دخلت الآنسة كولتر فهز لها رأسه.

ـ لقد استخدمت الآنسة تراوت بديلة عنك. ستبدأ العمل بعد أسبوع.

ابتسمت الآنسة كولتر لشيلا:

ـ عظيم.. سأتمكن من مساعدتك. ولكن لا تخافي فليس في هذا العمل إلا القليل من المشاكل أقلها السيد وود نفسه.

لحقت شيلا بها إلى مكتبها، وبقيت طوال النهار تصغي إلى إرشادات الآنسة كولتر ووجدت أن العمل معقد بعض الشيء. فهو يتركز على مشاكل إدارية وحسابية عديدة.

في الخامسة والنصف، تنهدت الآنسة كولتر.

ـ أشكر الله.. انتهى يوم عمل آخر! أحب عملي، ولكنني أتطلع شوقاً إلى يوم زفافي.

ابتسمت لشيلا ثم أردفت:

ـ بعمل خطيبي في «الستر» وبعد الزواج سأسعى إلى وظيفة قريبة من المنزل. لو كنت سأمكث في لندن لما تركت هذه الوظيفة، ولكنني أظن أن هذا العمل متطلب جداً بالنسبة لامرأة متزوجة.. في بعض الأمسيات أتأخر إلى العودة وما من زوج يتحمل هذا. أنت جميلة ورائعة، وأعتقد أن هناك رجلاً ينتظرك.

فتح شاين وود الباب في اللحظة التي قالت السكرتيرة جملتها. ابتسم ابتسامة ساخرة لشيلا ثم قال:

ـ لدي ما أقوله لك آنسة تراوت.. عمت مساء آنسة كولتر.. بإمكانك

الذهاب باكراً، ولو لمرة واحدة.

ردت الآنسة كولتر بلهفة:

ـ شكراً لك.. أراك بعد أسبوع إذن، آنسة تراوت.

ردت لها شيلا الابتسام: «سأشتاق إلى لقائك».

ـ وأنا كذلك.

غادرت الفتاة بسرعة فتقدم شاين بشير إلى شيلا لتدخل. جلست قرب مكتبه تضع ساقاً فوق ساق.. فأسند نفسه إلى المكتب ليسألها:

ـ أين ستتناول الطعام الليلة؟

ردت ببرود:

ـ سأقفل راجعة إلى بادفور بالقطار.

ـ يجب أن تأكلي قبل السفر.. فلماذا لا تقبلين دعوتي؟

ارتفع حاجباها: «أنسيت اتفاقنا؟»

ـ وهل يشمل اتفاقنا تناول العشاء؟

أحست باحمرار وجهها:

ـ إنه يشمل كل ماله طابع شخصي.

عقد ذراعيه:

ـ هكذا إذن، ما الذي حدث بينك وبين خطيبك شيلا؟ وماذا قال؟

ردت متوترة: «هذا ليس شأنك».

ـ بل هو شأني. هل هرعت إلى بينك وأرسلت إليه الخاتم؟ أم أصر على

ـ لا هذا ولا ذاك، بل صعدت إلى غرفته بعد خروجك.

ـ صعدت إلى غرفته؟

ـ لم يكن أمامي حل آخر. لقد جرحته، ولم أجد نفسي قادرة على الهرب أو

ـ لأني لا أستطيع أن أواجهه.

ـ وماذا حدث؟

ـ كان غاضباً ومتألماً. بالله عليك، ما فائدة هذه الأسئلة؟

ـ أكان الفراق مؤلماً؟

شحب وجهها:

ـ جداً.. أيرضيك هذا سيد وود؟

ـ أحاول وضع نفسي في مكانه وأتساءل ما كان يمكن أن أفعل.

نظرت إليه بفضول: «ماذا كنت ستفعل»؟

بدا لها حائراً وفي عينيه وميض غريب:

ـ كنت اغتصبتك.

انقطعت أنفاسها، وتعالى الاحمرار إلى وجهها. فتفرست عيناه في وجهها بحدة، يقرأ ردة فعلها.

كانت ترتجف، متذكرة ردة فعل باول المريرة، والبؤس الذي شعر به لأنه عاجز عن تحريك مشاعرها، كما يفعل شاين وود.

وقفت تقول ببرود:

ـ لا أريد مناقشة الموضوع. ويجب أن أذهب الآن، عمت مساء سيد وود.

ـ إن ناديتني بالسيد وود ونحن بمفردنا فسأردّ الكلمات إلى حنجرتك.. اسمي شاين وهذا ما ستستخدمينه في المستقبل.

ـ أفضل إبقاء علاقتنا رسمية قدر المستطاع سيد وود.

أمسك بكتفيها، وهزها بوحشية، ولمعان غريب في عينيه.

ـ أينها العنيدة الحمقاء الصغيرة.. لماذا ذهبت إلى غرفته؟ كان يمكن أن يقتلك، ماذا فعل؟ أخبريني ماذا حدث في غرفته؟.

نظرت إليه مصدومة:

ـ لا يحق لك أن تسأل كما أني لن أخبرك.

تأوه تأوية حارة:

ـ الذي حدث كان غلطتي بمقدار ما كان غلطتك، لذا لي الحق في معرفة ما حدث؟

رفعت ذقنها بتحد:

ـ أتريد وصفاً دقيقاً عن اعتدائه عليّ سيد وود؟

تلاشى اللون من وجهه وتغير لون عينيه وتوهج، وان صمت رهيب. واشتد ضغط يديه على كتفيها حتى كاد يأكل من لحمها، وقال بحنق بصوت

منحشرج مهدد:

ـ قولي الحقيقة.

قاومته: «أنت تؤلمني».

ـ اجهدي إذن. الحقيقة شيلا. أريدها حالاً وإلا أبقيتك هنا طوال الليل حتى تعترفي.

تصادمت عيناها الزرقاوان مع العينين الرماديتين القاسيتين. ثم أحست بأن كل مقاومتها تتلاشى.

ـ حاول.. اغتصابي. ولكنه لم يكمل لأنه إنسان محترم. أتكفيك هذه المعلومات؟ أم تحتاج إلى معرفة ما فعل بالضبط؟

هزها وكأنها طفلة مزعجة.

ـ لماذا تركتني أظن أنه اغتصبك؟

ـ أليس هذا ما كنت تتصوره؟

ـ كاذبة.. أردت أن تنتقمي مني. أليس كذلك شيلا؟ معركة أخرى في حربنا الضروس.

ـ ليتك تنال منها بعض الضربات.

رد ساخراً:

ـ حذار شيلا.. من يطرح الآن أموراً تشير إلى علاقة خاصة؟ فلا شيء خاص أكثر من جرح مؤلم مرير.

أطبقت حنجرتها ثم تلاقت عيونهما:

ـ أكان جرحاً مريراً حقاً شاين؟

أبعدها عنه:

ـ إن كنت لا تريدين أن أزهق أنفاسك بين ذراعي يا امرأة فعودي حالاً إلى الجلوس. وإياك في المستقبل أن تذكري ما قد يسبب ما تحاولين تجنبه.

سارت شيلا نحو الباب، تتمنى لو أن ساقيها لا ترتجفان هذا الارتجاف الذي لا يقهر. لقد أصبحت الآن تعي أن جسدها مضطرب إلى درجة العذاب المرير. كانت تشعر أنها تقف على حافة هوة جهنمية وأن التدفق الغريب الذي غمرها أمام لمسة شاين، قد يتحول إلى حريق.

وكان شاين هو الذي تراجع عن الحافة . . فقد نسيت هي الشرط الذي اتفقا عليه . . ولم تعد تعي سوى المعركة الشخصية الوحشية القائمة بينهما .

في طريق العودة إلى بادفور كانت تتأكلها كراهية شديدة لنفسها بسبب ما شعرت به في تلك اللحظات . . لن تتركه يصل إليها ثانية . ستقوم بعملها بمهارة وهدوء وبرود وستسعى جهدها لتسيطر على مشاعرها ولن يتمكن أبداً من القول بأنها تخاذلت كما ستتأكد من أن ينال العقاب الذي يستحق .

* * *

liilas.com/vb3
mjerko

٥ ـ لا تقل حبيبتي

قدمت شيلا استقالتها في الصباح التالي وهي تشعر بالذنب لأنها تصورت أن هذه الاستقالة ستسبب الدهشة والإزعاج . ولكنها استغربت حين قال رئيسها متنهداً :

ـ كنت أتوقع هذا .

تورد وجه شيلا حتى تنابت شعرها : «ماذا؟» .

هز الرجل كتفيه :

ـ لن تستطيع فتاة مثلك تحمل فسخ الخطوبة ولكنني لست واثقاً ما إذا كنت تفعلين الصواب بالهرب . . أتفهم وضعك ولك بركاتي ، وأنا آسف على ما حدث معك .

هزت شيلا رأسها وعيناها تلمعان بدموع لم تحاول إخفاءها ، فقد أشعرها لطفه ولهجته بالذنب .

حين أخبرت والديها أنها سترحل إلى لندن لاستلام وظيفة أخرى هزّ والدها الصحيفة وخبأ رأسه خلفها ، أما أمها فنظرت إليها بشفقة وقالت :

ـ كما تشائين عزيزتي .

فيما كانت تغادر الغرفة سمعتها شيلا تتمتم لزوجها :

ـ إنها تواجه الأمر بصعوبة .

تابعت شيلا المسير إلى غرفتها ، وبدأت تفكر في مشكلة الانتقال إلى لندن . عليها أن تجد مكاناً تعيش فيه . وهذا صعب فمن العسير إيجاد شقة للسكن في لندن .

بدأت تنتقي ما ستحمله معها من ملابس . بعد ساعة ، سمعت والديها يستعدان بالسيارة فهما أيام الجمعة يزوران الأصدقاء . كانت تجلس على سريرها تقرأ رسائل قديمة وتقارير مدرسية وكانت تضحك لما وجدته من أغراض في حقيبة تضعها فوق خزانتها ، لماذا يحتفظ الإنسان بمثل هذه الأشياء؟

ردتها جميعاً إلى الحقيبة وقررت أن ترميها جميعها . . ولكن وقعت قصاصة ورق على الأرض . فالتقطتها وعندما قرأت القصاصة انتفضت فهي الرسالة الأولى التي كتبها لها باول وشعرت بالاحتقار لنفسها .

جعلتها رنة عنيفة على جرس الباب تجفل ، نزلت لتفتح الباب الذي ما إن فتحته حتى وقفت مدهوشة فقد رأت باول هناك وعلى وجهه غضب مرير . دخل ثم أقفل الباب خلفه بقوة ، فارتدت غريزياً أمام غضبه . .

شرع يقذف بالكلمات بخشونة :

ـ إذن أنت تكرهينه . . أليس كذلك؟ لا تريدين رؤيته ثانية؟ لماذا إذن تقبلين أن تكوني سكرتيرته؟ أيتها الكاذبة . .

ردت بوجل : «باول ، توقف أرجوك» .

أمسك بها يهزها بعنف :

ـ لماذا كذبت عليّ؟ أردت مهدئتي وفي ظنك أنك تسهلين الأمر على نفسك . آه ، يا لغبائي وعماي . ربما كلمة سكرتيرة هي الكلمة التي تسترين بها طبيعة العمل الحقيقية ولكنني أنا وأنت نعرف جيداً طبيعة المركز الذي ستشغلينه؟ وأتصور أنك ستتقاضين أجراً مرتفعاً ، فهو رجل ثري . أهنئك شيلا .

كادت تصفعه على وجهه بسبب هذه الإهانة ، لكنها سمعت خلف رنة الغضب ألماً عميقاً ألم قلبها فوقفت بهدوء ، تصغي إليه تاركة إياه يصب ما في نفسه من مشاعر .

مزق شخصيتها في بضع دقائق أرباً إرباً ولكنها لم تتحرك أو ترد ، بل كانت تنظر إليه بأسى .

أخيراً ، صمت فجأة وأدار ظهره إليها يستند إلى الجدار . . فتحركت شيلا إليه بحنان لتضع يدها على ظهره ، ولكنه دفعها عنه بخشونة .

ـ لا تلمسيني . . هل أنت مجنونة؟ لو اقتربت مني لفقدت رشدي ولفعلت ما نندم عليه .

وقف هناك لحظات أخرى ، ثم استقام واستدار إليها .

ـ أنا لا أقول هذا لأنني أغار فقط بل لأنني أخاف عليك ، فما يعرضه عليك ليس ما تنشدينه . واعلمي أنه سيجلب إليك البؤس والعذاب وفي يوم ما

سينتهي كل شيء ، ولن تبقى لك سوى الجراح والآلام .

ردت بعذوبة :

ـ صدقني باول أنا لن أعمل عنده سوى سكرتيرة .

شاهدت تحرك عينيه والشك المستعر فيهما ، فتابعت بهدوء :

ـ في الواقع ، أنا ما قبلت الوظيفة إلا بناء على شرط واحد وهذا الشرط هو أن تكون علاقتنا علاقة رئيس بمرؤوس . إنها وظيفة رائعة باول . . وأجرها مرتفع . صحيح أنني كنت استمتع بالعمل هنا ولكنك تعرف مدى الإثارة التي يشعر بها المرء إن عمل في شركة مصرفية كبيرة .

تفرست عيناه فيها ، ثم تنهد :

ـ الله يعلم لماذا . لكنني أصدقك .

دس يديه في جيبيه ، وأسند ظهره إلى الجدار :

ـ على أي حال ، إن ظننت أنه عرض عليك العمل بسبب ذكائك وكفاءتك ، فأنت مجنونة . . القذر يريدك شيلا . رأيت ذلك في عينيه منذ البداية . وعندما راقصته في الفندق ، بدا واضحاً أنه يريدك . كما أنه لا يمكنك الوثوق به شيلا . . ربما وعدك بجعل العلاقة فقط على المستوى المهني . . ولكن لا يمكنك الثقة به أبداً .

ـ أعرف هذا .

ـ إذن لماذا؟ . . لماذا؟

ـ أنا قادرة على حماية نفسي باول ، ولا أنوي أبداً أن أصبح عشيقة لا الآن ولا مستقبلاً ، لذلك ثق بي .

ـ أتظنين أنني قادر على السفر غداً تاركاً إياك تحت رحمة ذلك النذل؟ سأجن بدون شك وأنا أفكر في الأمر .

قالت بلطف :

ـ نحن شخصان مستقلان باول ، لذا يجب ألا تقلق عليّ بل لا تفكر فيّ حتى . استمتع بحياتك الجديدة وانسني .

قال : «أنساك؟» .

جذبها إلى ذراعيه ، يضمها بشوق فقاومته وحاولت إبعاد رأسها عنه

ولكن مقاومتها جعلته يتصرف بعنف مفاجيء شعرت أنه يائس وثائر فخافت. أمسك برأسها بين يديه، وأرجعه إلى الوراء بوحشية. ولكنها لم تستجب له، بل أحست بالصدمة وكاد يغمى عليها وعجزت عن التنفس بشكل دلائم. كانت أنفاسه خشنة حين نظر إليها بعينين ظللتهما المشاعر العنيفة ثم ارتد عنها وخرج من المنزل.. يصفق الباب خلفه بقوة.

جرت شيلا قدميها إلى غرفتها، وأخذت تنظر إلى نفسها في المرآة، على خديها آثار أصابع بدأت تزداد اسوداداً على عنقها البيضاء. آثار رغبة باول كانت بارزة على بشرتها كآثار الذنب في نفسها.

بدأت تبكي بعجز، تغطي وجهها بيديها، إنها تستحق ما جرى، لقد آلمته كثيراً. ولكن الصدمة جعلتها تشعر بالغثيان.

لم تجرؤ على ترك والديها يريان الآثار على بشرتها.. وعندما عادا من سهرتهما كانت في الفراش تتظاهر بالنوم. توقفت أمها قليلاً، تطل من الباب في الظلام إلى سريرها، ثم خرجت، فاستدارت شيلا على وجهها، وتدفقت دموع جديدة على خديها.

في الصباح بدت الآثار ظاهرة وعرفت أنها ستضطر لشرح سببها لأمها ولكنها استيقظت متأخرة فوجدت أبويها قد غادرا المنزل فنهار البيت يخرجان باكراً لأنه نهار زاخر بالعمل في متجر الملبوسات.

كانت في المطبخ، تغسل أطباق الفطور حين قرع أحدهم الباب، فخفق قلبها.. وقفت جامدة تقاوم اندفاع خوف شديد. هل عاد باول؟ خشيت أن تراه ثانية بعدما حدث بالأمس، فذكرى ما جرى بينهما ما تزال مطبوعة في ذاكرتها..

وعاد القرع مجدداً بطرقات أقوى فاستقامت واتجهت إلى الباب، وعلى وجهها قلق وتحفظ.

قال بصوت مألوف ساخر: «تأخرت في الرد».

تلاشى خوفها، وانسرخى جسمها المتوتر.

ـ آه، هذا أنت!

رفع حاجباً متسائلاً: «ومن ظننتني؟».

ثم ضاقت عيناه حين وصلت نظرته إلى وجهها. تجاوزها إلى المنزل، وأغلقت الباب خلفه ثم وقفت مطأطئة الرأس تنظر إلى السجادة. وسألت:

ـ لماذا أنت هنا؟

سألها بحدة، متجاهلاً سؤالها:

ـ ماذا حدث شيلا؟ إنه هو على ما أظن.. أكان هنا؟

رفع وجهها لينظر إلى آثار الأصابع على وجنتيها وعنقها واعتلى وجهه تجهم شديد، ولكنها كررت بعناد:

ـ ماذا تفعل هنا؟ هل نسيت شرطي؟

ـ أنا كالفيل لا أنسى أبداً. وسأعرف الحقيقة حتى وإن اضطررت إلى ضربك.

نظرت إليه ببرود: «أليست القصة واضحة»؟

ـ واضحة تماماً.. وكلما أسرعت في اصطحابك إلى لندن كلما كان ذلك أفضل.

ـ إنه مسافر غداً.

ـ لماذا قابلته؟ أنت عاجزة عن الوصول إلى الاستنتاجات الصحيحة. الرجل متيم بحبك، وأنت تتلاعبين بالنار إن تركته يقترب منك.

ابتسمت نصف ابتسامة.. فقد كان يعيد التحذيرات نفسها التي أطلقتها باول عليها. وفي الأمر سخرية.. لاحظ تحرك فمها المكدوم، فنظر إليها بحدة:

ـ الأمر ليس مضحكاً.. لقد أتاك هذه المرة يا شيلا. قلت لي مرة إنه غير قادر على إيذاء أحد، ولكنك مخطئة. إن أعطيت أي رجل الإثارة الكافية يصبح متوحشاً.

ـ لا ألومه.

ـ لا تلومينه؟

ـ استحق هذا. فقد جرحته، وأحس بعذاب الضمير. فقد سيطرته على نفسه. وأنا لا أشك في أنه نادم الآن.

نظر إليها وكأنه يفكر في ما يقوله:

ـ ارتدي معطفك شيلا . . سأرافقك للغداء .

ـ لا . . شكراً لك، لن أخرج .

ـ علينا مناقشة التفاصيل العملية لانتقالك إلى لندن . . ستحتاجين إلى مكان تعيشين فيه، ولديّ فكرة عن مكان مناسب .

ـ أيها . . أتظن أنني سأقبل أن أوضع في شقة . . !

وضع يده على فمها، يضحك مرحاً .

ـ آه، يا له من عقل شرير شيلا! توقفي عن التحديق إلي واصغي . . لدى نود الحارس منزل قديم واسع . لقد تزوج ولداه منذ شهر وانتقلا من المنزل وهكذا أصبح المنزل له ولزوجته وهو مكان واسع لا يعرفان ما يفعلان به . ففكر نود أن يحوّل الطابق العلوي إلى شقة وعندما ذكر الفكرة أمامي، فكرت فيك .

نظرت إليه من فوق يده التي تسكتها وعيناها متأثرتان . أبعد يده وسأل مازحاً: «حسناً؟» .

ردت معترفة، ولو على مضض: «تبدو لي الفكرة جيدة» .

قال ساخراً:

ـ ولكنك تبدين خائبة الأمل . أكنت تأملين أن أعرض عليك شقة فيها كل مباهج الحياة شيلا؟

حركت يدها لتصفعه فأمسك بها، نظر إليها بصمت، ثم قال بنعومة:

ـ هذه هي المرة الثالثة التي تحاولين فيها ضربي . . ولولا كدماتك التي أراها لصفعتك بشدة . والآن، افهمي هذا التحذير واضبطي أعصابك!

شدت معصمها منه: «أنا أضبط أعصابي» .

ـ أتمزحين؟

ـ لم أفقد هدوئي إلا منذ رأيتك .

ابتسم فجأة ابتسامة ساحرة خبيثة:

ـ هذا أجمل ما قلته في حبيتي .

توقف قلبها عن الخفقان وأحست باللون الساخن يرتفع إلى وجهها فقد أدركت فجأة مضامين اعترافها الخفية . ألم تقل له منذ هنيهة إنه يترك أثراً كبيراً

فيها؟

ـ لا تنادني حبيبتي!

ـ تعجبك هذه المناداة شيلا؟

كان قلبها يخفق بقوة كالطبول . فابتلعت ريقها بصعوبة، ثم ابتعدت:

ـ أشكرك لأنك وجدت لي مسكناً سيد وود . ولكنني لا أستطيع مرافقتك إلى الغداء .

ضحكت مرددة:

ـ سأشعر بالإحراج الشديد، لأن الناس سينظرون بدهشة إلى هذه العلامات .

رد متفهماً:

ـ أجل . كدت أنساها ولكنه يوم جميل شيلا، يوم ممتاز للنزهة . لماذا لا تعدي لنا بعض الطعام فنقصد مكاناً هادئاً؟

ـ قلت إنني لن أخرج برفقتك .

ـ لن أقبل الرفض بعدما اجتزت هذه المسافة كلها لأراك .

ـ لا!

ـ إذن . . سنبقى هنا .

نظرت إليه بغيظ وحنق: لن تبقى سيد وود . . فهلا ذهبت حالاً .

تحرك نحو المطبخ يقول: شاين . . إن أحببت أعد القهوة بنفسي .

تبعته إلى المطبخ وكتفاها مشدودتان من التوتر وهناك في المطبخ رأته يتصرف بحرية فقد وجد البن والغلاية وأحضر الفناجين . راقبته وهي غير قادرة على أن تزحزحه عما يريد أن يفعل . . سألته وهو يدير ظهره إليها:

ـ أهكذا ستحافظ على اتفاقنا؟ كان يجب أن أعرف أنني لن أستطيع الثقة بك لحظة .

التفت إليها بعناد مفاجيء .

ـ شيلا . . وعدتك ألا أحاول إغوائك . . وأنا لا أتراجع في كلمة أقولها . ولكنني لن أقبل أن تكون علاقتنا علاقة عمل فقط . سنمضي أوقاتاً كثيرة معاً في المستقبل: وإن كنت تظنين أن شخصين يتواجهان ساعة بعد ساعة، يوماً بعد

يوم، يمكن أن تبقى معرفتهما على أساس العمل فقط فأنت مخطئة. وعليك منذ الآن أن تفكري في على أنني زميل وتوقفي عن مناداتي بالسيد وود كما توقفي عن معاملتي وكأنني مصاب بالجذام. ألا يمكننا أن نكون صديقين؟

رأت النظرة الصريحة في عينيه وأحست بالارتباك والتشوش. إنها تتصرف بغباء.. لكنها قالت بعناد:

ـ لم تكن الآنسة كولتر تناديك شاين.

ـ بل تفعل، ولكن مايفز إنسانة كتوم، وسكرتيرة رائعة.. حين نكون معاً نستخدم الأسماء الأولى أما أمام الناس فنستخدم اسم العائلة. فإن بدونا متقاربين فقد يظن بنا الناس الظنون. والشائعات تنتشر بسرعة في الشركات الكبيرة، الصداقة ليست مادة مثيرة للشائعات ولكن لو تصور الناس علاقة أكثر حميمية، لبنوا عليها شائعات كبيرة. لا تعرفين كم يحب الناس المبالغة.. وسيكون من العبث الشرح لهم كم تحب مايفز خطيبها. الناس يصدقون فقط الرواية اللاذعة.

جلست شيلا على كرسي المطبخ تراقبه بعد القهوة ببراعة. قالت بهدوء:

ـ أعجبتني مايفز.

صدقته حين قال إن لا شيء بينه وبين سكرتيرته.. فعينا مايفز كانتا صادقتين عاقتين غير كاذبتين.

أدار رأسه إليها مبتسماً:

ـ إنها فتاة طيبة، وذات كفاءة عالية. سأشتاق إليها.

ردت مبتسمة:

ـ أيعني هذا أنك تشك في كفاءتي.

ـ لا تصطادي في الماء العكر. أنا واثق من كفاءتك؟

ـ غير أنني لست طيبة جداً؟

لم يرد، بل نظر إليها بعينين ضيقتين:

ـ تجدين الأمر مستحيلاً مثلي، أليس كذلك شيلا؟

ـ أجد ماذا؟

ـ أن تبقى الأمور بيننا غير شخصية.

ارتفع الدم إلى وجنتيها فنظرت إلى الأرض.. لماذا تتفوه بكلمات غبية حين تكون معه؟ لا يمكنها لومه هذه المرة.. تعرف أنها هي التي بدأت الحديث عن الأمور الشخصية.

جلسا معاً يحتسيان القهوة، بصمت غريب.. كانت شيلا تتساءل كيف ستجبره على الرحيل حين فاجأها بقوله:

ـ ماذا ستأكل للغداء؟

ـ لا يمكنك البقاء.. لا شاين.

ضحك:

ـ سأحضر الغداء بنفسي، بيض مقلي.

ـ لا.

ـ لم الذعر فأنا لم أطلب سوى البيض المقلي.

عاش في داخلها صراع مرير ولكنها ترغب فعلاً في أن تكون بمفردها معه.. فنظرت إلى الطاولة، حيث أصبعها يلاحق دائرة لا تنتهي، وأكمل مقترحاً:

ـ مع الجبن؟ لاحظت وجود كل شيء.

سألته يائسة:

ـ أليس هناك ما تعجز عن صنعه؟.. أنت تثير الجنون.

ـ قيل لي هذا من قبل. أتوافقين على الجبن؟

نظرت إليه ووجهها ممزق بين مشاعر متلئة:

ـ أعتقد أنني لو طلبت منك الرحيل فوراً لما اهتممت؟

التوى فمه، وقال ساخراً:

ـ بالضبط. فلا تضيعي وقتك سدى شيلا.

صاحت بغضب:

ـ لو كنت رجلاً لرميتك إلى الخارج بالقوة.

ـ لو كنت رجلاً، لما احتجت إلى تكرار الطلب.

ـ ماذا يُفترض بي أن أقول لوالدتي حين يعودان؟ كيف سأفسر وجودك؟

ـ قولي إنني جئت من أجل شرح تفاصيل معينة عن الوظيفة. وهذا في

الواقع، سأفعله قبل الغداء.

أخرج ورقة من جيبه، وفتحها على الطاولة بينهما:

ـ وضعت لائحة بأشياء ضرورية يجب أن تعرفيها. حين تباشرين العمل لن أكون موجوداً مدة ثلاثة أيام، لأنني مسافر إلى أستراليا. في العمل نواحي معينة أود التركيز عليها بنفسي. لا شك أن مايفز ستعمل على شرحها ولكنني أريد أن أتأكد من أنك ستفهمين دقة الموقف.

هزت رأسها: «فهمت».

بدأ يتحدث بأسلوب جاد فلاحظت جانباً آخر منه.. إنه رجل ذكي وعملي.

ـ أنت تدركين المشاكل التي تعانيها في حقل المصارف أمام التكنولوجيا. نحن في صدد تغيير بعض لأقسام لنماشي التطور ولكننا نعاني من مشكلة الاتحاد العمالي فهم يعارضون إدخال الكمبيوتر إلى كافة الأقسام لأن ذلك سيسبب البطالة للعديد. من الواضح أن الاتحاد العمالي متشدد بشأن ما سنقدم عليه ولكن آخر ما نريد مواجهته هو الإضراب. ولذا يجب أن تعرفي الخلفيات شيلا وتفهمي المشاكل بالتفصيل.

راح يعرض عليها المشاكل فأصغت إليه باهتمام كبير تدرك بوضوح أنه ذكي وماكر.

ـ إنها ليست مسألة تقدم أو زيادة كفاءة، أو ربح.. فالمسألة الآن تنحصر في علاقات إدارية.. علينا قبل أن نتمكن من تركيز الطريقة الجديدة أن نقنع الاتحادات بضرورة ما سنقدم عليه، فأسلوبنا في العمل حالياً يجلب علينا متاعب لا حصر لها فعاجلاً أم آجلاً سنصل إلى نقطة اللارجوع. لا يمكن أن تدير الشركة بدون أرباح وإن أقفلناها تركنا أناساً كثيرين بدون وظيفة. لذلك من المهم التوصل إلى إتفاق ما لمصلحة الطرفين، لأننا في الوقت الحاضر نسير جميعاً نحو الكارثة.. وعليك كونك سكرتيرتي الحذر الشديد عندما تتعاملين مع الاتحادات العمالية.

ـ أفهم هذا.

ابتسم لها موافقاً:

ـ أجل. أنا واثق من قدراتك.

نظرت شيلا إلى ساعة المطبخ فدهشت لأنهما يتحدثان عن العمل منذ ساعة.

ـ يا الله! انظر إلى الساعة!

ابتسم: «جائعة؟».

ـ أتضور جوعاً.

ـ قطعي الجبن، وسأخفق البيض.. هل نتناول السلطة مع الأومليت»؟ رأيت سلطة جاهزة في البراد.

ـ سأحضر بعض المقبلات.

ـ عظيم.

مد يده إلى خزانة المطبخ فأخرج منها قصعة كبيرة لخفق البيض.. فراقبته لحظات دهشة من كفاءته ثم باشرت العمل.

تناولا الغداء في المطبخ. أذهلها، وأثر فيها الأومليت الذهبي الجميل الذي صنعه، وهنأته عليه. فقال بلا اكتراث:

ـ أعرف تحضير بعض الأطعمة. ولكن حين أحضّر طعاماً أحضّره بطريقة جيدة.

ضحكت: «التواضع ليس شيمة من شيمك».

ـ وهل هو من شيمك شيلا؟

ـ لم أفكر في هذا من قبل.. ربما لا.. يقول باول إنني مدللة وإن لدي الكثير من المعجبين، كما يرى أنني أتلقى رعاية كبيرة من والدتي. كانت الحياة سهلة حتى الآن بالنسبة لي.

ـ كيف كنت في المدرسة شيلا؟

ـ كما أنا الآن. نضجت باكراً. عاملني والداي على أنني ناضجة منذ أن كنت مراهقة، لذلك نضجت باكراً.

نظر إلى يديه.

ـ وماذا عن الصبيان..؟ أكنت تعرفين عدداً منهم قبل باول؟

ـ عرفت العشرات، ولكن لم يثر اهتمامي أحد منهم.

رفع رأسه وعيناه ضيقتان: «وهو أثار اهتمامك؟».

تورّد وجهها قليلا:

ـ كان جاداً أكثر من الآخرين وواظب على مقابلتي.

ـ يعني أنك تخلصت من الآخرين بدون جهد؟ ولكن يصعب على من تملك هذا الجمال أن تتخلص بسهولة من المعجبين.

هزت كتفيها لتحس بالإحراج.

ـ هل لنا أن نغسل الصحون؟

ـ لا تغيري مسار الموضوع شيلا. ألم يمرّ بك شخص خاص مميز؟

ازدادت حرارة جسدها، ولمعت عيناها بعصبية:

ـ لا أريد تباحث أمور حياتي الخاصة. أفضل غسل الصحون.

وفيما كانت تهم بالوقوف أطبقت يده على معصمها، يمنعها:

ـ كيف كان شكله؟

سألت مرتجفة: «من؟»

ـ من أملك المأ شديداً جعلك لا تتركين بعده فرصة لرجل آخر.

حبست شيلا أنفاسها، ونظرت إليه بمرارة.

ـ أنت خبيث ماكر شاين.. إن واجهت مشكلة تعمد إلى التفكير فيها حتى تجد لها حلاً.

ـ لم تكن هذه المشكلة صعبة. كان يمكن أن تكوني باردة بطبعك، ولكن هذه الإمكانية سرعان ما تبخرت.

احترقت عيناها غضباً: «اصمت».

تجاهل غضبها:

ـ لذلك عرفت أن رجلاً ما دفعك إلى التصرف ببرودة. أشعر أن رجلاً في فترة ما في حياتك أذاك وجعلك تغلفين نفسك بالثلج لمنع تكرار الأذية.

ردت بحدة:

ـ حسن جداً.. وربما تود الآن العودة إلى لندن.

رد ببرود: «كنا نريد غسل الصحون».

نهض وراح يلملم الصحون. ونظرت شيلا إليه بسخط وشعرت بأنها تود

لو تحطم طبقاً على رأسه. سرعان ما سألها بسخرية:

ـ هل ستساعدينني أم ستظلين واقفة هناك وكأنك بركان متأجج شيلا؟

أخذت منشفة وانضمت إليه على المغسلة.. عملا بصمت ثم بدأ شاين الحديث:

ـ إذن، ما كان شكل ذلك الشاب؟

ـ اصمت.

ـ أكان بهي الطلعة، أكبر منك وعابثاً؟

ارتفع غضب شيلا وقالت بمرارة:

ـ كان مثلك، بهي الطلعة، مخادعاً، خنزيراً قذراً ومتزوجاً.

رفع حاجبه بحدة: «أكنت تعرفين أنه متزوج؟»

ـ في البدء كنت جاهلة ولكن عندما اكتشفت أمره كان كل شيء قد انتهى.

ـ آه.. هكذا الأمر إذن.

ردت بصوت يرتجف غضباً: «أجل، هكذا هو الأمر».

جفف يديه واستند إلى الطاولة، يراقبها وهي تضع الأواني في الخزانة.. ثم سأل:

ـ متى حدث ذلك؟

التفتت إليه: «لا أريد التحدث عن الموضوع».

أمسك بمرفقها يهزها قليلاً:

ـ تعرفين أنني سأعرف شيلا، فأخبريني حالاً. متى؟

ـ كنت في السابعة عشر من عمري.. كنت متيمة به ولولا اكتشافي أمر زواجه لاستسلمت له.. هاك، أيكفيك هذا شاين؟ أم ترغب في سماع التفاصيل كاملة؟

وضع يده على خدها المتورد الدافىء، وراحت أطراف أصابعه تداعبها:

ـ سبعة عشر عاماً. يا للطفلة المسكينة! إنها بداية مجحفة. ولكن عليك شاين ما حدث شيلا.

ردت بوحشية: «لم أعد إلى التفكير فيه ثانية».

نظر إلى عينيها الغاضبتين:

ـ بل لم تفكري في أمر آخر مدة سنوات . . أليس كذلك شيلا؟ آه، أنا لا أقول إنك ما زلت على حبه بائية. لقد جرح كرامتك وتزجيتك ولكنك ما زلت تحاولين إقامة جدار دائم حول نفسك لئلا يتكرر ما حدث.

ردت بغضب ساخر:

ـ ما أذكاك سيد وود!

ـ لقد حوّلت نفسك إلى تمثال من ثلج وهذا يعني أنك تسمحين له أن يستمر في أذيتك شيلا. ولو استطعت رمي ما حدث وراء ظهرك لتلاشى من رأسك نهائياً الآن. لكنك بنيت حياتك كلها على ما فعله بك، وهذا يعني أن تأثيره فيك ما زال مستمراً منذ ذلك الحين.

وهذا صحيح. . فنظرت إليه بفضول، تدرك أنه أول إنسان تخبره بما حدث. ولكن ما وترها أنه انتزع الاعتراف انتزاعاً منها. إنه ماكر خبيث دمكته التجارب.

قالت بصوت أجش مرتجف، تحس بحركة يديه تداعبان وجهها:

ـ أظن أن من الأفضل أن تذهب.

نظر إليها متكاسلاً وأدهشها بقوله:

ـ أجل على الذهاب. فعندي موعد على العشاء الليلة.

ـ مع فيكي مارشال؟

لوت بسمة شفتيه وقال بصراحة:

ـ مع فيكي اليست جميلة؟

ارتدت عنه إلى الوراء لتحرر نفسها: «جداً».

لكن يديه لم تتحركا بل أمسك رأسها بحرارة فقالت: اتركني شاين.

ركز عينيه على وجهها فشعرت بقشعريرة تمر بأنحاء جسدها. فجأة، ابتسم لها ابتسامة ساحرة.

ـ لكل إنسان حصنان شيلا. . واحد في جسده والآخر في قلبه. . فإن كنت صادقة مع نفسك، علمت أن حربنا الصغيرة ستكون سهلة بالنسبة لي لأنني سأنجح في غزو أحد حصنيك. . إنه حصن لا دفاعات له. . صحيح شيلا؟ سلاحي قوي جداً عليك.

نظرت إليه بتوتر وبدون أن ترد تابع حديثه:

ـ ستكون متقاربين بدءاً من الأسبوع المقبل، ولا أريد أن تبقي قلقة وخائفة مني. أعدك ألا أستولي على حصنك الخالي من الدفاعات على حين غرة.

كانت أنفاسها تتصاعد بلا انتظام فضحك وأكمل:

ـ يجب أن أذهب. . سأراك نهاية الأسبوع المقبل. . سأحضر يوم السبت لاصطحابك إلى منزل تود. . انتظريني في الحادية عشرة، وكوني على استعداد. طائرتي تنطلق إلى أستراليا في ساعة مبكرة من صباح الأحد. لذلك أود لو أنام باكراً الليلة.

راقبته وهو يسير في الردهة. نظر إليها نظرة أخيرة سريعة من عينيه الرماديتين ثم اختفى.

* * *

liilas.com/vb3
mjerko

٦ ـ مدينة الوحدة والأحلام

حين وصل شاين إلى منزل شيلا في تمام العاشرة والنصف من نهار السبت التالي كانت شيلا على أتمّ الاستعداد للرحيل وكانت قد ودعت أبويها اللذين غادرا المنزل قاصدين محلهما. شعرت بتوتر شديد وهي تفتح له الباب، فسيحدث بعد هذا اليوم تبدل كبير في حياتها. فمن العيش في شارع مألوف في بلدة تعرفها معرفة جيدة، بين أناس معظمهم أصدقاء وأقرباء إلى العيش في مدينة كبيرة مجهولة بالنسبة لها.

كان في عيني شاين الباردتين ابتسامة خفية وهو يتناول حقائبها من يدها قائلاً بصوت ناعم:

ـ جاهزة شيلا؟

كان وراء هذه الجملة الكثير من الفضول غير الملفوظ. . رفعت ذقنها:

ـ أجل. . شكراً لك.

ابتسم:

ـ لا حاجة لامتشاق حسامك. . لم تبدأ المعركة بعد!

في السيارة رنت إليه بطرف عينها تراقبه. كان يقود السيارة بكفاءة وجدارة وكان جانب وجهه القاسي مشحوناً بالقوة والذكاء والخبرة والثقة.

سألها فجأة:

ـ أرأيت خطيبك السابق قبل مغادرتك البلدة؟

ـ لا.

ـ إذن شعر بأن ما حدث بينكما كان نهائياً.

لم ترد، فنظر إليها:

ـ أكانت الكدمات على وجهك وعنقك هي الوحيدة التي أحدثتها به شيلا؟

جعل سؤاله الخبيث وجهها يتقد رونقه، واعترفت: قال الكثير.

ـ لبستم؟

ـ لا. بل كان يشعر بالمرارة لأنه علم أنني سأعمل عندك.

كشّر وكأنه يتألم:

ـ بسبب نظرته إلى المركز الذي ستشغلينه؟

ـ إن هذا مفهوم بدون الحاجة إلى القول.

ـ وهل صححت له فكرته؟

ـ طبعاً.

ـ طبعاً؟

ـ لم يكن الأمر مضحكاً.

ـ لا. . يا للشيطان المسكين!

ـ توقف عن الكلام عنه. . لقد انتهى الأمر، وأريد النسيان.

نظر إليها نظرة غريبة:

ـ لم تحبيه يوماً. . أليس كذلك شيلا؟

ـ تعلقت به، وما زلت. إنه رجل لطيف فليتني أحببته فلو استطعت، لكنت. .

ارتفع حاجباه:

ـ أحاولت دفع نفسك إلى حبه وفشلت؟

تنهدت: «أعتقد هذا».

قاد السيارة بصمت فترة طويلة وكانت عيناه منصبتين على الطريق ولكن حلل وجهه تشوش وقلق. بعد نصف ساعة سألها:

ـ هل شغفت شغفاً كبيراً بذلك الرجل حين كنت في السابعة عشرة؟

أحست بغضبها يلتوي ألماً، وركزت نظرها على الطريق أمامها، قالت بسخرية: «كل الشغف».

لم يقل شاين شيئاً ولكن سرعة السيارة ازدادت فتجاوزت بقية السيارات على الطريق العام بسرعة فائقة.

فقالت تحذره: «أنت مسرع جداً».

خفف سرعته تدريجياً بدون أن يتفوه بكلمة، فالتفتت تنظر إلى وجهه

التامي القائم. لقد باتت تفهمه وتعرفه. ثمة ما أغضبه لا شك في أنه يشعر بالأسف على باول، أو بالشفقة رغم احتقاره له.. فهل هو آسف عليها أيضاً؟ هل أغضبه اعترافها بذلك الحب الذي آلمها؟

إنه رجل غريب.. تحول فمه وعينيه خطوط قسوة ولكن في الوقت نفسه يمتزج اللطف بالقسوة، ولقد اختبرت القسوة واللطف.

توقفا في تمام الواحدة أمام فندق ريفي صغير يقع على بعد أمتار من ضواحي لندن ليتناولا الغداء.. كان يمزح أحياناً ويبدي اهتمامه ووده.

عندما دخلا اجتذبا اهتمام بعض النزلاء لمحت شيلا صورة طاولتهما في مرآة جدارية طويلة، ولاحظت رأس شاين الوسيم وهو يميل إليها. كانت ثيابه الباهظة الثمن وتصرفاته اللبقة تبرز بهاء طلعته وجماليا، بدت غارقة في التفكير ولكن عينيها كانتا تبتسمان له أما رأسها الأشقر فارتفع بمرح ورشاقة. ومظهرها هذا وطريقة تصرفه معها يشيران إلى أنهما على علاقة شخصية رائعة.. صدمها هذا الواقع وأدركت مدى التأثير الذي يتركه فيها.

تأمل شاين تعابير وجهها وتبدلها.

ـ هل من خطب؟

ردت بجفاء: «لا».

نظر إليها بخبث، وهو يطلب الفاتورة، ثم استند إلى الخلف يراقبها، وأحست أن عقله يحاول معرفة سبب هذا التغيير.

تابعا الرحلة إلى لندن بصمت.. شيلا هادئة متباعدة، مصممة على عدم الوقوع ضحية ابتسامته الساحرة، ولكن كلما كان ينظر إليها بتلك الطريقة كانت تشعر بجاذبية قوية تضعف مقاومتها.

اكتشفت أن شوارع هذه الضاحية طويلة، ومنازلها جميلة، طرازها فيكتوري أما سلالمها فقصيرة وواجهاتها ممزخرفة بالحصى، رغم الإهمال الذي ترزح تحته منذ سنوات ولكن بعض المنازل معتنى بها، وسرها أن تكتشف أن منزل تود هو أحد المنازل التي أصلحت حتى عادت جميلة كما كانت.

وقفت على الرصيف قرب شاين تنظر إلى فوق بإعجاب.. كان للمنزل شرفة طويلة، وهو مؤلف من أربع طبقات، ثلاث منها فوق الأرض وواحد

تحتها. ولكل طابق نوافذ تقضبانها حديدية مطلية حديثاً بلون أبيض وأزرق. وأمام النوافذ أوعية زُرعت فيها أزهار حمراء صفراء وقرمزية كانت تبرق أمام النوافذ البيضاء من الداخل. رأى الإعجاب الواضح على وجهها وقال:

ـ سيكون الطابق العلوي منزلك من الآن فصاعداً.

التفتت إليه مبتسمة.

ـ إنه رائع شاين.. لقد أحببته.

أمسك ذراعها مبتسماً، يقول بكل:

ـ إنها المرة الأولى التي أرى فيها دفء ابتسامتك. تعالي نحادث زوجة تود.

كانت السيدة تود امرأة صغيرة الجسم وكأنها عصفور، شعرها رمادي وعيناها براقتان. قالت لهما إن تود قد خرج لتوه، وأكملت مبتسمة لشاين:

ـ ذهب إلى مكتب المراهنات.

ـ يراهن لشوط الثالثة والنصف، أليس كذلك؟

ضحكت السيدة تود:

ـ تعرف تود.. إنه يراهن باندفاع.. هل تؤيد هذا شاين؟

ذهلت شيلا لأنها سمعت المرأة تناديه باسمه الأول. التقط شاين نظرة الدهشة فعادت السخرية إلى عينيه.

ـ لا.. أنا أراهن عن دراسة كحالي دائماً فلا أؤمن بالاندفاع المنهور.

قالت السيدة تود:

ـ آه.. حسناً.. المراهنات تقبل كل الأنواع.

ـ لا بد أن سماسرة المراهنات يربحون ربحاً وفيراً من تود.

ردت تدافع عن زوجها: «إنه يستمتع بالمراهنة».

قالت شيلا تدعم المرأة: «هذا هو المهم».

التفت شاين إليها ساخراً يسأل وهما يلتحقان بالمرأة:

ـ أهذا رأيك حقاً؟

تجاهلته شيلا.. وتوقفت السيدة تود أمام منبسط الدرج تقول باعتذار:

ـ أخشى أن أمامكما درجات كثيرة.

رد شاين:

ـ ما تزال شيلا شابة وهي تستطيع اجتيازها بدون مشقة.

التفت ينظر إلى قدها النحيل، وإلى ساقيها المديدتين:

ـ ولها كاحلان قويان.

ضحكت السيدة نود. وغمزت لشيلا، تشير بفخر إلى باب أبيض:

ـ ها أنت عزيزتي.. أمام بابك الخاص.

أعطتها مفتاح الباب بعدما فتحته.

ـ ستر غبين في خلوة خاصة بدون شك..

دخلت شيلا إلى الشقة برافقها إحساس بالغربة فللأول مرة في حياتها ستعيش بمفردها. فقد كانت حتى الآن تعيش مع أهلها لذا العيش بمفردها أثارها وأخافها في آن واحد.

الشقة مبهجة للنظر. مفروشة بأثاث حديث نظيف، وجذاب. سقفها مرتفع، ونوافذها طويلة، والنور يتدفق إلى الغرف.. لحقت بها السيدة نود إلى الداخل، تشرح لها مكان الغرف. قالت ونظرة رضى على وجهها:

ـ أترين.. لديك غرفة جلوس وغرفة نوم، ومطبخ.. كان المطبخ في الأصل غرفة نوم، صحيح أنه صغير لكن فيه كل ما تحتاجين إليه. وهذا هو الحمام أليس جميلاً؟

ردت شيلا بحماس:

ـ إنه جميل جداً. لم أتوقع أن أجد مسكناً بهذه الروعة.. شكراً لك.

ابتسمت السيدة نود، وتحولت عيناها إلى شاين وهو يتحدث:

ـ نحن مسرورون لأننا حظينا بمستأجر جيد أوصى به شاين فما دام يثق هو بك فعلينا أن نثق بك أيضاً.

نظرت شيلا إليه فوجدت تلك البسمة الساخرة على وجهه الوسيم..

وقالت السيدة نود:

ـ حسناً.. آسفة! أنا مضطرة إلى تركككما فقد وضعت قالب حلوى في الفرن، ويجب أن أسرع لأخرجه في الوقت المحدد. إن شئتما فعودا إلى الأسفل لتجلسا قليلاً. سأقدم لكما الشاي.

رد شاين بسرح قبل أن ترد شيلا:

ـ شكراً لك، سنحب ذلك.

حين ذهبت ران صمت غريب بينهما.. جالت شيلا في المكان تبدي إعجابها بما فيه وكأنها طفلة أعطيت لعبة لتلعب بها. ودت لو يخرج شاين بدلاً من الوقوف يراقبها هكذا.

بعدما أنهت جولتها على الأغراض قال:

ـ والآن شيلا ماذا حدث أثناء تناول الغداء؟

عبست: «ماذا تعني؟»

ـ كنت مطمئنة هادئة ثم فجأة نظرت إليك فإذا بي أمام عينين باردتين كقطعتي ثلج. ما الذي كان يدور في هذا الدماغ المعقد؟

ـ لا شيء. هل تنزل لتناول الشاي الآن؟

أمسك يدها وهي تتحرك من أمامه فأرسلت لمسته جيشاناً مجنوناً إلى نبضات قلبها، رفعت عيناها إليه، فاقدة التوازن، فسمعته يشهق ثم يشدها إليه. رزحت بين ذراعيه عاجزة عن المقاومة ثم تعانقا بحرارة وشغف وتسللت يداها إلى عنقه.

حين تباعدا، شعرت شيلا بأنها كانت على شفا اكتشاف خطير وأنها عادت قبل الأوان من جنة ذهبية، أوصلها إليها هذا الرجل. جالت ببصرها في الغرفة حولها.

كان شاين ينظر إليها نظرة غريبة وعلى وجهه الأسمر تعبير غير واضح وفي عمق عينيه تعبير غريب لم تستطع أن تعرفه. فأطالت النظر إليه.. تعرف أنهما في اللحظات الأخيرة مزقا اتفاقهما الذي قبلت على أساسه العمل معه.. مع ذلك فهي غير قادرة على الاحتجاج، لأنها تعرف جيداً أنها هي التي دعته إلى ذلك. لقد رغبت في أن تكون بين ذراعيه في تلك اللحظة بالذات، وهذا ما اعترفت به بصراحة.

سألها بقلق: «نادمة شيلا؟».

طأطأت رأسها وازداد وجهها تضرجاً:

ـ من الأفضل أن ننزل لتناول الشاي.

ارتدّ على عقبيه بهم بالخروج فلحقت به. ترتجف مما حدث وتشعر بالوهن. تذكرت ما قاله لها حول حصنها الخالي من الدفاعات، وعلمت أنه لو قرر استخدام قوته لانهار ذلك الحصن بدون مقاومة. مع ذلك فقد سحب قواته.. علماً أنه أحسّ بأن دفاعاتها قد انهارت.

عندما نزلا كان تود قد وصل لتوه. وفي المطبخ الكبير الدافئ جلسوا يحتسون الشاي ويأكلون شرحات من قالب الحلوى الساخن الغني بالفاكهة.. فيما كان حديث شاين وتود يدور حول السباق أصغت شيلا إليهما فرأت من شاين جانباً آخر لا تعرفه. من الواضح أن علاقته بتود وزوجته علاقة قديمة، أساسها الإعجاب والثقة المتبادلة.

سألت السيدة تود شيلا عن عملها السابق، واهتمت بسماع أخبار بيتها في بادفور. وقالت، وهي تقف لتفتح خزانة:

ـ لديّ ما قد يعجبك رؤيته.

وضعت تمثالاً من البورسلان بين يدي شيلا:

ـ هاك.. أيعجبك هذا؟

قلبته شيلا بلطف بين يديها الناعمتين، وقالت بحرارة:

ـ إنه جميل.. أليك زوج منه؟

ضحك تود:

ـ هذا فقط شيلا.. لقد بحثت سنوات طوال عن توأمه. لقد تركته لها أمها منذ عشرين سنة.. وهي شغوفة به.

ابتسمت شيلا للسيدة تود:

ـ لا ألومك. إنه جميل..

بدا الرضى على السيدة تود، وتلقت التمثال ثانية بلطف، وأعادته إلى الخزانة الزجاجية الملتة بالخزف.

وقف شاين، وقال متأسفاً:

ـ يجب أن أذهب. أمامي أعمال كثيرة أنجزها قبل موعد الطائرة غداً. أراكم جميعاً لاحقاً.

وابتسم لتود وزوجته. فقال تود بلهجة أبوية:

ـ كن حذراً في استراليا شاين.

ـ سأكون حذراً.

وقفت شيلا مترددة، فنظر إليها بعينين باردتين ثم قال لها بخشونة:

ـ رافقيني إلى السيارة شيلا.. لدي تعليمات أخيرة أقولها لك.

لحقت به إلى سيارته، فاستند إليها، ويداه ترجمان شعره الكثيف الممزوج بالفضة.

ـ إن أزعجك شيء أثناء غيابي فالجئي إلى تود الذي يمكن الوثوق به وهو سيكون مسروراً بمساعدتك.. ألديك ضائقة مالية شيلا؟ المعيشة في لندن أكثر كلفة مما في بادفور. إن أردت قرضاً فمن السهل عليّ إقراضك مبلغاً ما.

ـ لا.. شكراً لك. لدي مبلغ لا بأس به.

ـ أواثقة؟

ـ واثقة تماماً.

هبّت نسمة عليلة فتحركت أوراق شجرة الدلب المتوقفان تحتها، فأرسل ذلك لمعاناً ماسياً إلى وجهها الهادىء.. تأملتها عيناه ببرود:

ـ أراك حين عودتي.

هزت رأسها: «رحلة موفقة».

توجه إلى مقعد السائق وفتحه. راقبته شيلا وهو يدخل.. ثم هدر المحرك ملوّح لها، وانطلق.

في ما هي عائدة إلى شقتها شعرت ببرودة ما تجتاحها. إنها برودة الحياة الجديدة والوحدة الكامنة فيها.

دق تود بابها بعد ساعة ليسألها عما إذا كانت بحاجة لمساعدة. نزلا وهما يتبادلان الأحاديث، ثم خرجت لشراء بعض الأشياء لعطلة الأسبوع. اشترت كل ما ظنت أنها بحاجة إليه.. وفي طريق العودة سألتها السيدة تود عما إذا كانت تريد الحليب يومياً:

ـ بإمكاني ترتيب هذا حين يأتي موزع الحليب في الغد.

طلبت منها شيلا تأمين زجاجة واحدة يومياً، ومضت الدقائق في تبادل الأحاديث فشعرت بأنها في بيتها مع المرأة العجوز التي قالت لها:

ـ بإمكان نود أن يتملك يومياً، فهو يبدأ العمل في الثامنة والنصف. وهذا مبكر قليلاً بالنسبة لك، لكنه يوفر عليك أجرة الباص. . وإن أردت الذهاب بمفردك فلا مشكلة أبداً ولكن اعلمي أنه سيستأنس برفقتك.

تملكت شيلا الدهشة:

ـ سأكون شاكرة جداً، ولكن قد أزعجه.

ضحكت السيدة نود تغمز بعينيها:

ـ سيحب نود وجود من يصغي إليه، ومن السخافة الذهاب إلى المكان نفسه دون أن ترافقا.

ذهبت شيلا إلى الفراش تلك الليلة وهي تشعر بشيء من الضياع، والوحدة. أمضت يوم الأحد تجوب شوارع لندن، تركب الباص من مكان إلى آخر. وحين عادت إلى الشقة، كانت مرهقة، تؤلمها قدماها من المشي، سمعتها السيدة عندما وصلت فخرجت تكلمها. لاحظت عيناها اللطيفتان التعب على وجه شيلا، فسألتها:

ـ هل أمضيت وقتاً طيباً؟ أنت بحاجة الآن إلى فنجان شاي. . ولدي إبريق جاهز.

تأوهت شيلا:

ـ أوه سيدة نود، أكاد أموت عطشاً إلى قليل من الشاي.

ولحقت بها إلى المطبخ. تعدت تريح جسدها المتألم ثم راحت تحتسي الشاي، وتصغي للسيدة نود التي تحدثت عن ابنيها التوأمين سام وسايمون.

ـ إنهما أشبه بفلقتين في حبة واحدة، ومع ذلك فهما مختلفان في الشخصية. سام هو العملي بينهما، ذكي وماكر، أما سايمون فأحمق مستهتر ولكنه دافئ القلب.

وجدت شيلا من المريح لأعصابها أن تجلس لتستمع إلى قصص عائلية وإلى القليل من القال والقيل المحلي. حين بدأت السيدة نود تتحدث عن شاين، قفز قلبها من مكانه، وكأن لاسمه سلطة قوية عليها.

ـ إنه صديق العائلة أكثر منه رب العمل. نعرفه منذ سنوات منذ طفولة التوأم. أصيب سايمون في طفولته بالتهاب السحايا، وكاد يموت. فلما علم

شاين بأمر مرضه أرسل له الأزهار وأصر على دفع التكاليف، وجاء يزوره ليطمئن على حاله، ويتي ليتناول معنا الشاي. في الأسبوع التالي أتى حاملاً معه قطاراً للأولاد. أحب سايمون بطريقة ما فراح يزورنا باستمرار وكلما زارنا كان يحمل الهدايا للصغيرين.

حاولت شيلا المطابقة بين صورة شاين هذه وبين صورته الباردة التي طالعتها لأول مرة في غرفة طعام الفندق في لندن. إن قوة وجوده ما تزال راسخة في عقلها لهذا عدا سلطته وقوته.

ـ هذا لطف كبير منه.

ابتسمت السيدة نود:

ـ إنه لطيف فعلاً، كان يومذاك أصغر سناً وأرق جناحاً. كان في أعماقه طفل حنون.

ابتسمت شيلا لفكرة أن يكون طفلاً، وفهمت السيدة الابتسامة فضحكت:

ـ كان في أوائل العشرين من عمره طري العود ولم يكن قد أمسك بزمام المؤسسة إلا منذ فترة قصيرة. لقد تسلم زمام الأمور دفعة واحدة عندما أصيب والده السيد براد رئيس مجلس الإدارة بنوبة قلبية. ولكنه بالطبع لم يمت بل اضطر إلى التخلي عن بعض الأعمال، فكان أن تولى شاين العمل بسهولة. وأظنه كان يزورنا للهرب من كافة المتاعب، فالمسؤولية حمل ثقيل شيلا. ولم يمس هذه المسؤولية يوماً. . أوه. . صحيح أنه يضع قوانينه الخاصة حين يضطر ولكنه مثل ابني سايمون يحمل في قلبه مشاعر عميقة ولكنه لا يظهرها. أما سايمون فيظهر كل شيء، لم يتعلم يوماً أن يكون مثل شاين القادر على إخفاء مشاعره ولكن على المرء في عالم شاين أن يتعلم إخفاء أشياء كثيرة وإلا أكلوه حياً.

ردت شيلا بدون تفكير: «آجل».

تسارعت نبضات قلبها وهي تفكر فيه، فلم يخطر على بالها إطلاقاً أنه يحمل في أعماقه مشاعر. كانت تراه عقلاً ماكراً ورجلاً جذاباً.

فيما بعد عندما أوت إلى شقتها جلست تصغي إلى أنغام الكمان ولكن

تفكيرها كان مع شاين أكثر منه مع الموسيقى التي كانت تقتحم أذنها برقة وعذوبة.

أيمكن أن تكون مخطئة بأمر شاين وود؟ إن نظرة السيدة تود إليه متناقضة كل التناقض مع نظراتها. فهي تصورته رجلاً عنيداً أنانياً متكبراً يخطط ببرود للزواج من فيكي مارشال التي يجدها زوجة تناسبه في حين أنه يواظب على علاقاته مع النساء ولكنها الآن بدأت تتساءل عما إذا كان يحب فيكي حقاً.

عضت شفتها حتى كادت تقطعها. ما أسهل أن يقع في حب فيكي مارشال.. إنها جميلة، وأنيقة، فتاة من عالمه، تفهم كيف تتكيف مع حياته.

إنها لا تأبه البتة ما إذا كان شاين يحب فيكي مارشال ورددت هذا لنفسها بنفاذ صبر. فالشعور الوحيد الذي تحسه تجاهه هو الشعور بالغضب والازدراء لنفسها بسبب التأثير الذي يتركه في أحاسيسها. ولكن تأثيره لا يبلغ حدود عواطفها، ومن أجل هذا تكره نفسها.

وقفت أمام المرآة، تنظر إلى صورتها، كانت ترتدي بلوزة حريرية زرقاء وجينزاً أبيض ضيقاً يظهر تحول جسمها. كان شعرها مسترسلاً تلمع خصلاته الشقراء تحت نور المصباح. وارتفع لون دافئ إلى وجهها وهي تتذكر لحظات الأمس بين ذراعي شاين حيث غاب كل العالم من حولها ولم يعد هناك من وجود إلا لتجاوبها.

أيمكن لرجل يحب فتاة أخرى أن يتجاوب معها هكذا؟

تغضنت عيناها عبوساً، وتحركت مبتعدة عن المرآة متوترة. يحيرها شاين ويزعجها. إنها لا تفهمه. تناقض طباعه يحيرها. في البداية أخذت فكرة معينة عنه، ولكن السيدة تود غيرت نظرتها إليه الآن فباتت لا تدري ما تحكم عليه. إنها تعرف شيئاً واحداً وهو أنها غير قادرة على نزعه من تفكيرها، وهذا الواقع يقلقها ويزعجها إزعاجاً شديداً.

في الصباح التالي رافقها تود إلى الصرح الزجاجي الضخم الذي يضم بين جنباته الشركة الدولية للمصارف وأنزلها في الخارج أما هو فأكمل طريقه ليوقف السيارة تحت المبنى.. دخلت شيلا إلى المبنى حيث حيّاها حارس الأمن الذي نظر إلى جواز مرورها الذي أعطاها إياه تود في الصباح.

صعدت شيلا في المصعد فوجدت مكتب شاين فارغاً، بدأت تتجول فيه بانتظار عودته. وصلت مايفز في التاسعة والربع منفعلة، وضحكت لشيلا:

- أوه.. يا إلهي يكرت في الوصول أما أنا فتأخرت. آسفة، فاتني الباص المعتاد.

ردت شيلا بلطف:

- لا يهم أنا مضطرة للوصول باكراً لأنني وجدت من يقلني باكراً بسيارته.

- يا لك من محظوظة. هل وجدت مكاناً تقطنين فيه؟

- أجل.

ولكنها لم تذكر أن المكان هو منزل تود لأنها شعرت أن من الأفضل أن تكتم، فقد تثار تعليقات كثيرة وهي تفضل أن تقف على قدميها قبل أن تثار الأقاويل.

مر اليوم بسرعة وعندما حانت ساعة الغداء رافقتها مايفز إلى الكافتيريا الخاصة بالشركة وهي عبارة عن غرفة طويلة بيضاء مكتظة بالناس، وصادحة بالأصوات.

لم يكن الطعام غالي الثمن، اختارت شيلا سلطة أما مايفز فاختارت فطيرة لحم خاصة. ثم ابتسمت:

- يجب أن أتناول السلطة، ولكنني جائعة.. أقلت إن في حياتك رجلاً؟ إن لم يكن في حياتك أحد فاعلمي أنه سرعان ما ستنهال عليك الطلبات.. أعرف هذا من خلال النظرات التي تتلقينها من أولئك الشباب هناك.

التفتت شيلا إلى الجهة التي أشارت إليها مايفز فالتقت عيناها عيوناً فضولية مليئة بالإعجاب. أشاحت ببصرها بلا مبالاة ثم ردّت أنظارها إلى مايفز:

- هل أفهم من هذا أن معظم الموظفين يحبون الجلوس هنا؟

ضحكت مايفز:

- تقريباً.. إنهم يجلسون مع الأصدقاء.

هزت شيلا رأسها بتفهم ورفعت مايفز بصرها بدهشة لدى اقتراب أحد المحاسبين من طاولتهما.

ـ مرحباً رامزي . . كنت أتساءل كم سيطول بك الوقت قبل قدومك إلينا .

رفعت شيلا رأسها فالتقت عيناها بعينين سوداوين ودودتين . كان الوافد الجديد رجلاً طويلاً جذاباً في أواخر العشرين من عمره . . سترته عادية وقميصه مشقوقاً ويمكن القول باختصار أن ملابسه غير رسمية .

قالت مايفز لها :

ـ رامزي نصف يوناني ، فتذكري القول المعروف وحذار إن حمل إليك هدية . فلديه دائماً دوافع خفية .

ابتسم لشيلا بعذوبة :

ـ توقفي عن الدعاية المغرضة ، وقومي بالتعارف .

ردت مايفز مازحة :

ـ أتساءل إن كان من الحكمة أن أعرفك إليه . . شيلا جديدة في لندن وهي حديثة العهد بهذه المدينة التي تعج بالخطيئة . . ولا أظنها قادرة على التعامل مع أمثالك .

ابتسم لها والتفت إلى شيلا :

ـ بما أنها ترفض لعب دور المضيفة فسأقوم أنا بهذا الدور . أنا رامزي باولوس . . وأنت فتاة الزعيم الأبيض الكبير الجديدة ، فرايدي . .

مدت له يدها : «بل شيلا تراوت» .

انحنى يلثم يدها برشاقة ثم استقام وقال :

ـ اسم يناسبك . آه ، ما أروع هذا ! لا أرى خاتماً في يدك . مشكلتي مع ماي أنها تضع خاتم الخطوبة منذ زمن بعيد ، وهي تحصن نفسها به جيداً .

ردت مايفز برضى .

ـ سأضع بعد فترة قصيرة آخر في يدي اليسرى .

ـ وسنحزن على فراقك ما تبقى من حياتنا .

ضحكت شيلا ، فابتسم لها ابتسامة دافئة :

ـ إذن أنت جديدة في لندن ، ولم ترى الكثير منها بعد على ما أعتقد ؟

قالت مايفز بصوت منخفض :

ـ حذار ما قد جاءك الطلب !

ـ كنت أتساءل فقط عما إذا كانت شيلا تحب أن أكون مرشدها إلى الأماكن الساخنة في لندن الليلة . . عشاء ، سينما ، وزيارة الأماكن المميزة في العاصمة الكبيرة . .

ابتسمت شيلا له :

ـ شكراً لك . . لكنني لم أستقر جيداً في شقتي الجديدة . وعندي أعمال كثيرة أنجزها .

ـ مساء الغد إذن ، أو مساء الأربعاء ؟

نظرت مايفز إليها تحذرها :

ـ إنه كلب صيد أصيل حين ينقفي أثر فتاة جميلة .

أعجبت شيلا بمرحه وفكرت في شقتها الصامتة ، وبعدها عن الأصدقاء في لندن فضعفت أمام الفكرة .

ـ حسناً . .

ـ حددي اليوم والوقت لأستطيع حجز أماكن في المسرح . أي نوع من المسرحيات تحبينه ؟

ـ لا يهم نوع المسرحية فأنا مغرمة بالمسرح إجمالاً .

ـ سأختار لك مسرحية . . . غداً ؟

ابتسمت :

ـ ليلة الأربعاء .

ـ اعطني عنوانك لأصطحبك من المنزل .

فكرت بسرعة :

ـ سألقاك هنا فلا أظن أن من المستحسن العودة إلى المنزل . ننطلق مباشرة من هنا .

ـ عظيم . . أنجز عملي في السادسة ، متى نلتقي ؟ السادسة ؟ في الردهة ؟

ـ إذا أحببت .

وقف وعلى وجهه نظرة رضى :

ـ حسناً . أراك يوم الأربعاء إذن .

حين ابتعد ضحكت مايفز:

ـ عمل سريع شيلا . . إنه أجمل المحاسبين شكلاً وهو غير مرتبط. قد يكون عابثاً لكنه رجل رائع.

ابتسمت شيلا:

ـ لقد اكتشفت أن لندن مكان موحش. ومن المحبب للنفس أن يكون للمرء أصدقاء.

ضحكت مايفز:

ـ أشك أن يتقصك الأصدقاء هنا شيلا خاصة ولك وجه كهذا.

* * *

liilas.com/vb3
mjerko

٧ ـ خط الدفاع الأخير

تكيفت شيلا بسهولة مع رتابة العمل في المكتب. وعلى الرغم من طبيعة العمل المعقدة، ذهلت لما تتعلمه عن المصارف. نظرت مايفز إليها بعد ظهر الأربعاء بإمعان وقالت تهنئها:

ـ أنت موهوبة في العمل، فلست ممن يفقد أعصابه بل لديك قدرة على استيعاب كل شيء بسرعة. لقد حظي شاين بسكرتيرة جوهرة.

لاحظت شيلا أن مايفز استخدمت الاسم الأول فاستغربت ولكنها ابتسمت شاكرة للتهنئة وردت:

ـ أستمتع بكل دقيقة أقضيها في العمل.

ـ ستخرجين مع رامزي الليلة؟ أما زال الموعد قائماً؟

ـ أجل. . اتصل بي صباحاً ليتأكد من بقائي على الوعد.

ضحكت مايفز:

ـ أراهن أنه فعل. إنه مثار حسد المحاسبين لأنه حظي بموعد مع فتاة جميلة لا تظهر دائماً في كاتبريا الشركة.

ضحكت شيلا:

ـ لقد أشبعتم غروري بكل هذا الاهتمام.

رن جرس الهاتف، فتحركت لترد عليه وشرعت ترد بسرعة على الأسئلة أما مايفز فراقبتها بإعجاب.

في الخامسة والنصف، أسرعت مايفز في الانطلاق إلى المنزل باكراً. وبقيت شيلا في المكتب، ترتب بعض الملفات. . كانت ترتدي فستاناً حريرياً أخضر اللون الجاد، اشترته من أحد شوارع لندن. أما قماشه فالتصق برقة بجسدها النحيل.

فتح شخص ما الباب فجأة، فالتفتت مدهوشة وإذا بها تجد نفسها في مواجهة فيكي مارشال، التي حدقت فيها بعدائية ظاهرة.

ـ إذن قبلت الوظيفة؟

ـ اقتنعني السيد وود بأنها تناسبني.

تأملتها فيكي عاية: «ملابسك رائعة بالنسبة لسكرتيرة».

كبحت شيلا ابتسامة، وردت بهدوء:

ـ لدي موعد الليلة.

ـ موعد؟ آه، فهمت.

أبهج اعترافها الفتاة فتعمدت القول:

ـ سأخرج مع أحد المحاسبين رامزي باولوس.

ـ لا أظنني أعرفه.. أهو جذاب؟

ردت بابتسامة باهتة: «جداً».

ابتسمت فيكي ابتسامة ساخرة:

ـ ما أسرعك بعقد الصداقات!

ـ رامزي شاب قوي الشخصية. قابلته في الكافتيريا في اليوم الأول على وجودي في الشركة فطلب مني الخروج برفقته.

برز الإعجاب في عيني فيكي:

ـ لا يدهشني ذلك، فأنت رائعة الجمال.

وجدت شيلا شيئاً مؤثراً في الإطراء، وكأن فيكي تحاول التعويض لها عن فظاظتها السابقة معها. فردت الابتسام قائلة:

ـ شكراً لك، وأنت كذلك.

احمرّت فيكي:

ـ أنا لست جميلة وليتني كنت كذلك، فلو كنت جميلة لأيقنت من حب شاين.

أسدلت أهدابها وتورد وجهها:

ـ إنه رجل يصعب معرفة مشاعره.

لم تكن تريد التطرق إلى موضوع شاين فسارعت تنظر إلى ساعتها:

ـ يا الله.. لقد تجاوزت السادسة، ووعدت رامزي بلقائه في تمام السادسة، آنستي اعذريني على الإسراع في الخروج. أهناك ما أقدمه من

خدمات قبل ذهابي؟

ـ سأنتظر شاين. سيعود من استراليا في وقت ما هذا المساء. ولست واثقة مني ولأنه قادم مباشرة إلى هنا، فكرت أن أكون في مكتبه حين يصل لأفاجئه.

نظرت إليها شيلا بعطف، وقالت بأدب:

ـ ما دام الأمر كذلك، فأعتذر لأنني سأتركك.

قالت فيكي بمرح:

ـ آه، طبعاً، لا تتركيه ينتظر. سأجلس في مقعد شاين، وأدور فيه.. أحب أن أفعل ذلك.

اتسعت عينا شيلا. إنها طفلة، طفلة جميلة ضعيفة، عرضة للخطر. فليساعدها الله!

نزلت في المصعد وخرجت منه. بدت عندما خرجت رشيقة القوام جميلة. كان رامزي يقف في مواجهة المصعد وعلى وجهه عبوس طفيف ولكن ما إن برزت شيلا حتى اختفى العبوس وتقدم مرحباً.

ـ خلتك ستتركينني منتظراً لمدة طويلة.

ـ آسفة لتأخري..

ـ لا يهم.. أنت هنا الآن، وهذا هو المهم.

ـ أتسمح لي بأن أتأخر متى شئت؟ هذا أمر خطير بالنسبة لامرأة.

ابتسم لها رامزي.

ـ أنت امرأة خطيرة.. أستطيع الإحساس بمنافسيّ يريدون الانقضاض علي عنقي من شدة حسدهم. لقد عرض عليّ أحد المحاسبين تذكرتين لحضور [illegible] ويستبدلون مقابل موعدك.

قهقهت ضاحكة وتراقصت عيناها الزرقاوان. ولكن ابتسامتها تلاشت حين التقت بعيني شاين الفولاذيتين. كان قد وصل للتو إلى الميناء، وشعرت بالغضب يعتمل في داخله.

لم يلاحظه رامزي بل كان يحدثها بخفة عن المسرحية التي يريدان مشاهدتها. عندما أصبحا على مقربة من شاين، حاولت تجاوزه وكانت [illegible] تتسارع بعنف. لكنه لم يتحرك، مما أجبرها على الوقوف والنظر إليه..

خرج صوتها بارداً: «مساء الخير سيد وود».

نظر إليه رامزي، وحياه بأدب. ولكن شاين لم ينظر إليه بل ظلت نظراته مستقرة على شيلا وقد غلف وجهه قناع بارد:

ـ كيف حالك آنسة تراوت؟

ـ بخير.. شكراً لك.

ـ أوجدت موضع قدم في لندن؟

أحست بكلماته المؤدبة ظاهرياً تلسع بعمق. لملمت ابتسامة بجهد وادعت هدوءاً لا تشعر به أبداً.

ـ آه، أجل.

نظر إلى رامزي وهز رأسه:

ـ أتقصد مكاناً معيناً باولوس؟

ـ سنذهب لتناول العشاء ولمشاهدة مسرحية ما. عينت نفسي مرشداً لشيلا في لندن.

نظر إليها شاين ثانية، وابتسامة باردة على فمه القاسي، وقال بتشدق:

ـ ما أروع هذا! فلتكن الأمسية لطيفة.

رد رامزي مسروراً: «سنبذل قصارى جهدنا حتى تكون رائعة».

أحست شيلا أن شاين تردد لحظة وكأنه على وشك قول شيء. ولكنه أكمل طريقه إلى المصعد أما هي فانطلقت مع رامزي.

كانت الأمسية ممتعة جداً.. لم يوفر رامزي شيئاً للحصول على مقاعد جيدة، وبعد المسرحية رافقها إلى مطعم صيني فاخر. خلال السهرة حاولت شيلا جاهدة إظهار المرح خاصة وأن رامزي ودود ولطيف. أعجبها هذا الشاب، ولكن ذكرى عيني شاين الباردتين، وصوته اللاذع لم يبرح مخيلتها لحظة واحدة أثناء السهرة.. ليتهما لم يلتقيا به في الردهة، فلولا ذاك اللقاء لاستمتعت كثيراً بالسهرة، ولكن ذلك اللقاء السريع دمّر بهجتها.

تظاهرت من أجل رامزي بالتمتع. فضحكت، تحدثت وابتسمت وأصغت إليه وهو يتحدث عن عائلته وعن عمله.

أوصلها إلى منزلها في منتصف الليل. جلسا في السيارة أمام المنزل في

الظلام، والتفت إليها وعلى وجهه الوسيم نظرة قلق ثم سألها بمرح:

ـ هل نتصافح أم تراك تسمحين لي بأن أعانقك؟

ابتسمت: «تجعلني أبدو مخيفة».

ـ أنت فعلاً مخيفة. لقد شعرت طوال السهرة بأنك لست معي.. هل في حياتك شاب يا شيلا؟

احمر وجهها:

ـ آسفة إن خيبت أملك رامزي.

رد بسرعة: ليس الأمر هكذا بالضبط.. أنت فتاة جميلة ورقيقة لطيفة ولكنني لم أصل إليك. أنا لا أتذمر. أنت مميزة وأنا فخور لأنني كنت برفقتك الليلة.. من الجيد للغرور الرجل أن يخرج مع فتاة تجتذب الأنظار.

ضحكت شيلا: «تعجبني صراحتك».

قال ضاحكاً:

ـ أنت الآن على الأقل تنظرين إليّ فعلاً.

انحنى يعانقها، ففوجئت بحركته بحيث لم تحاول رده. كان عناقاً سريعاً لم تفعل أثناءه ما يشجعه فتراجع رامزي مكشراً.

صارحته قائلة:

ـ لم أتعرف إليك إلا منذ ثلاثة أيام رامزي.. فماذا تتوقع؟

رد ساخراً:

ـ أنواراً برّاقة، موسيقى خيالية، وأسهماً نارية.

ـ علي الذهاب الآن.

خرجت من السيارة تودعه فراقبها رامزي وهي ترتقي الدرج قبل أن يمضي في طريقه.

دخلت شيلا بهدوء إلى شقتها ولكنها توقفت مصعوقة لدى رؤية المصباح ترب سريرها مضاءً. كان شاين جالساً على مقعد ذي مسندين، ماداً جسده الرشيق فوقه. أقفلت الباب ووقفت، تنظر في عينيه الباردتين.

ـ كيف دخلت إلى هنا؟

رد متجهماً: «أدخلني نود».

قالت غاضبة: سأطلب منه ألا يكرر هذه الفعلة.

- لن تفعلي. طلبت منك مرة ألا تورطي أشخاصاً آخرين في حربنا الخاصة، وأنا أعني ما أقول.

فتحت الباب مجدداً: «اخرج من هنا».

سارع إلى إقفاله ثم نظر إلى وجهها بخشونة لم ترها من قبل. ثم قال بغيظ:

- تأخرت في الخروج من سيارة باولوس.

نظرت إلى عينيه متعمدة: «كان يغازلني».

أمسك بخناقها وجذبها إليه بأصابع وحشية ثم قال من بين أسنانه:

- أتظنين أني أحتاج إلى اعترافك؟ يا إلهي.. هل ستستخدمين أي سلاح ممكن؟

ضمها إليه بقسوة تشبه تلك القسوة التي أبداها في المصعد يوم التقيا. كانت تعرف منذ دخلت إلى الغرفة أن هذا سيحدث. وحاولت مقاومته بشكل أعمى.. لقد عرفت منذ التقته في ردهة المكتب ومنذ رأت النار المتأججة في عينيه الرماديتين أن هذا ما سيحدث، ارتدت إلى الوراء تئن تحت وطأة القوة التي يستخدمها لإجبارها على البقاء بين ذراعيه.

- توقف عن هذا شابن هل نسيت اتفاقنا؟

وقال ساخراً:

- كلانا يعرف أنك وضعت هذا الشرط لتحافظي على ماء الوجه شيلا.. رغبت في الوظيفة ولكنك خشيت أن أقرأ أكثر مما تريدين أن أقرأ..

صفعته على وجهه بكل قوتها، فتصاعد غضب أبيض إلى عينيه، وطارت يده ترد ضربتها. وكان أن أنقذتها الضربة توازنها.

أمسك بها قبل أن تقع ورفعها بين ذراعيه. شعرت بذعر لأنه حملها إلى غرفة النوم فقالت:

- لا.. دعني.. شابن لا.. أرجوك.

شدها إلى صدره بصمتها، فأغمضت عينيها وتوقفت يداها عن دفعه وضرب كتفيه العريضتين.

أحست شيلا أنها تطير، وتوقف عقلها عن التفكير.. ثم لاحظت أنهما أصبحا على الفراش ولكنها لم تعرف كيف وصلت إليه.

فجأة أخذت تقاوم وتحتج بمرارة: لا شابن، لا.. دعني!.. لكنه شدها بحزم وحدق إلى عينيها النجلاوين الغاضبتين.. وقال بخشونة:

- انتظرت هذا منذ ست ساعات شيلا.. كنت تعرفين ردة فعلي منذ خرجت مع باولوس.

ارتجفت رموشها فرفع لها رأسها بخشونة يجبرها على النظر إليه: «ألم تتوقعي ردة الفعل هذه؟»

خفق قلبها كالمطرقة على صدغيها وهمست تسأله:

- أتغار شابن؟

لم يرد..

راقبت شيلا وجهه ودقات قلبها تكاد تصمّ أذنيها. وأغمضت عينيها ببطء. ودست رأسها في دفء صدره.

فجأة رفع رأسه ينظر إليها ويقول آمراً: «افتحي عينيك شيلا».

ارتد جفناها إلى الوراء:

- هل أصبح الحصن لي.. شيلا؟

نظرت إليه مرتجفة، فأكمل يمسك وجهها بأصابعه:

- أريد سماع اعترافك شيلا.. فعاجلاً أم آجلاً ستعترفين بالهزيمة.

أغمضت عينيها مجدداً واعترفت بمرارة: «أجل».

أمرها: «انظري إليّ وأنت تعترفين».

فتحت عينيها متأوهة واعترفت: «أجل».

ضم رأسها إليه، فأغمضت عينيها مجدداً، وارتفعت ذراعاها لتلتفا حول عنقه. ولكنه دفعها عنه وهبّ واقفاً، فاستلقت مقطوعة الأنفاس تشعر بالخزي والعار من شجره لها.

- لا تخرجي بعد الآن مع رامزي باولوس شيلا، فأنت مدموغة بختم وود.. وإن اضطررت لإيضاح هذا لكل رجل في المبنى فسأفعل. أتفهمين؟

ارتجفت شيلا لأنها فقدت دفء يديه، وحل مكانهما الإذلال واليأس

واحتقار النفس. وحتى تسترد بعضاً من احترام النفس قالت بصوت مرتجف:

ـ أنا لست ملكاً خاصاً لك!

التوى فمه ساخراً: «ولكنك اعترفت بذلك منذ برهة».

ـ لم أعترف.

ـ هل عليّ أن أخوض المعركة من جديد وأكسبها مرة أخرى شيلا؟ لقد استسلم الحصن لتوه.. ولقد رأينا معاً الأسوار المتداعية. نعم لم استول عليه حتى الآن ولكنه لي على أي حال.. ولا أريد أن يقترب منك رجل ولو على بعد أميال.

نظرت إليه مرتبكة، تحاول قراءة معنى نظرة وجهه وتمتمت: «لا أفهمك».

كيف استطاع أن يُفقدها القدرة على المقاومة؟ ولماذا؟ أهذه لعبة القط والفأر التي يهدف منها تحطيم معنوياتها.

قال متجهماً:

ـ أعرف أنك لا تفهمين. ولكنك ستفهمين متى انتهت الحرب.

جلست في السرير وتمتمت: «أكرهك».

ضحك شاين.. فتابعت بمرارة:

ـ أكرهك فعلاً. ألم نتفق على أن تتركني وشأني؟ لن أكون عشيقتك شاين.

ـ ستكونين ما أريدك.

ـ أيها المتعجرف النذل.. وماذا إن وصلت الشائعات إلى مسمعيّ فيكي مارشال؟

صمت.. فوجهت نظرها إليه. كان ينظر إليها بعينين حذرتين مترقبتين.

ـ ولم تصل إليها؟ أنت امرأة كتوم شيلا.. إنك سكرتيرة كاملة.

ازداد تورد وجهها:

ـ إن وضعت يدك عليّ ثانية فسأخبرها أنا بنفسي ما فعلته.. لقد حان الوقت ليفتح أحدهم عينيها لتعرف أي نوع من الرجال أنت!

انعقد حاجباه: «أتحاولين ابتزازي شيلا؟»

ـ لا بل أحذرك. لقد ارتكبت غلطة فادحة بقبولي هذا العمل. لا أنكر أنني أحببت العمل، ولكن إن رفضت تركي وشأني فلن تترك أمامي خيار سوى الرحيل.

رد بعذوبة:

ـ ألم يحن الوقت لتفهمي أنني لن أتركك ترحلين.

ـ ولكنني لن أبقى لأكون عشيقتك.

دس يديه في جيبه، وضاقت عيناه:

ـ كنت قادراً على جعلك عشيقتي الآن، وما كنت لتحولي دون إيقافي. ولكنني لم أفعل.

امتلأت عيناها بالارتباك وسألت بصوت مرتجف حتى كادت لا تسمع الكلمة التي نطقتها.

ـ لماذا؟

ـ فكري ملياً في الأمر. ولكن اعلمي يا شيلا أنك ستبقين سكرتيرتي وأنك لن تخرجي مع رجل آخر. أنت ملكي هل هذا مفهوم؟

ـ لا!

ـ تعرفين أنك ستنفذين ما أقوله لك.. تصبحين على خير شيلا.

فيما كان يغادر الغرفة، تقلبت على وجهها، تضرب الوسادة بقبضتيها..

إنها عالقة في فخ لا خلاص منه، جاءت إلى لندن للعمل مع شاين، وفي نيتها معاقبته على أنانيته ووحشيته ولكن إرادته التي لا تلين أسرتها. ما كان يجب أن تسمح لنفسها بالاقتراب منه لأنها لن تكسب أية جولة في صراعها معه.

اعترفت لنفسها بأنها ما خرجت مع رامزي إلا لإزعاج شاين. كانت تعلم أنه سيغضب، وبعد ما رأته منه في مدخل المكتب، علمت أنه سينتظرها حين تعود علماً أن كبرياءها واحترامها لنفسها رفضا السماح لها بالاعتراف بهذا الواقع، مع أن الفكرة جالت في خلدها مراراً أثناء الساعات التي قضتها مع رامزي. إن خروجها مع رامزي كان تحدياً لشاين وقد شعرت في أعماقها بأنه سيرد على هذا التحدي بطريقة ما.

انحرفت خطة انتقامها عن مسارها بجنون، لأن مشاعرها وقعت في ورطة

عبثة بل هي ما عادت تريد المضي بالخطة. وما عادت ترغب في رؤية الألم في عيني فيكي.. فهي تخاف الألم، وتخاف أن تحرك الغيرة القاسية التي لا ترحم.

حدقت إلى السقف، أتغار من شاين وفيكي مارشال؟ تصورت فيكي بين ذراعيه فلم تشعر سوى بالغضب.. لا يحق له أن يؤلم تلك الطفلة السخيفة الضعيفة.

رفرف في معدتها رفيف كرفيف الطير. لا يحق لشاين أن يتسلى مع نساء أخريات.. تسمّرت عيناها أمام فكرة غريبة: لماذا صاغت هذه الجملة بهذه الطريقة؟ لا يحق له! واشتد خفقان قلبها. لا يحق له لأنه لها، كانت تشعر تحت لهيب المشاعر بإحساس قوي بالتملك نحوه، لا علاقة له بأي إحساس كاذب.

حين أجبرها هذه الليلة على الاعتراف أنها تريده كان يجبرها فقط على أن تقول بالكلمات ما عرفته منذ لقائهما الأول في المصعد.

إن أحدهما هو ملك للآخر وفيكي مارشال لن تتمكن يوماً من أن تصبح وشاين في المستوى عينه. ولكن ليست الرغبة الجسدية وحدها هي التي تجذب أحدهما إلى الآخر. فيهما في بعض المستويات متماثلان بشكل غريب. عرفت أنه نسخة مطابقة عنها. إنهما متساويان، نفسياً وعاطفياً، وفكرياً.

تذكرت قوله: «نحن نتشابه كثيراً بل أكثر مما أنت مستعدة للاعتراف به» وتذكرت كيف اشتعل كيانها تجاوباً مع الكلمات. وقد أدهشها ذلك وحيّرها أما الآن فباتت تعرف ما قصده بقوله ذاك. إنهما مخلوقان من عالم واحد، فلقتان لحبة واحدة. كان هذا ما شعرت به حين لمحت صورتهما في المرآة وهما في الطريق إلى لندن. رأت الحميمية والتجانس بينهما عن بعد. هبّت عن السرير منزعجة وطفقت تذرع الغرفة مفكرة. أتحب شاين؟

توقفت لتحدق إلى انعكاس طيفها في المرآة.. لا.. لا!..

استعدّت للنوم فاستلقت مرة أخرى في الفراش ولكن أفكارها حرمتها من النوم فقد كانت تحاول وضع قطع الأحجية في مكانها الصحيح.. وحينما طرق النوم باب جفنيها، كان الصبح قد انبزغ، وبدأت العصافير تزقزق.. وكانت مرهقة جداً حين توجهت إلى المكتب مع تود، الذي نظر إلى وجهها الشاحب

باهتمام وقلق.

- تأخرت في النوم شيلا؟

ابتسمت بحركة ضعيفة من فمها: «أجل».

قاد السيارة عابساً:

- أرأيت شاين ليلة أمس؟ هل أخطأت في إدخاله إلى شقتك؟

أحست بالقلق في صوته، فسارعت تطمئن باله:

- بالطبع لا تود..

يجب ألا تورط إنساناً آخر في حربهما الخاصة.. وشاين على حق في هذا.. استرخى توتر تود:

- يجب ألا يؤرقك شيئاً شيلا. تبدين مرهقة هذا الصباح.

نظرت إليه بفضول، تساءل عما ظنه بهما عندما طلب منه شاين أن يفتح باب شقتها لينتظرها. لكن وجه تود لم يفصح شيئاً سوى القلق ومع ذلك فقد كانت تشك في أنه يدرك أن العلاقة بينها وبين شاين ليست علاقة سكرتيرة برئيسها فقط.

تأخرت مايفز مرة أخرى ذلك الصباح، وعندما دخلت إلى المكتب كانت عيناها تتراقصان.

- يومان آخران أشكر الله على هذا.. لا أستطيع الانتظار حتى ابتعد عن ازدحام السير في لندن.

- متاعب مجدداً؟

تنهدت مايفز:

- أعلق دائماً في الازدحام. هل كانت سهرتك مع رامزي لطيفة؟

عبست حالما رأت وجه شيلا الشاحب.

- هاي تبدين مرهقة.. لا تقولي لي إن رامزي لم يخضع لسيطرتك؟

وقف شاين في الباب خلف مايفز وعيناه على وجه شيلا التي كانت ترد مرتبكة:

- لا.. بالطبع لا. أشعر بصداع ليس إلا.

ما إن أتمت إجابتها حتى اقترب شاين من طاولتها:

ـ ابحثي عن ملف «بلاتشفورد» آنسة تراوت، وادخليه إلى غرفتي من فضلك. مايفز، أحضري القهوة والإسبرين للآنسة تراوت.. على فكرة، لدي غداء عمل في غرفة الاجتماعات اليوم وسترافقني الآنسة تراوت لتسجيل الملاحظات لذا بإمكانك الذهاب مايفز.

ـ شكراً لك.. لائحة الضيوف شاين؟

ـ ستكون ثمانية: أنا والآنسة تراوت ورؤساء الأقسام. سنناقش سياسة الشركة.

سألت مايفز: «هل أبلغت المطبخ؟»

ـ تحدثت إلى المشرف ليلة أمس، وقال إنه سيعدّ لنا وجبة.

حين خرج ضحكت مايفز:

ـ نظراً إلى معرفتي بالمطبخ أرى أن في هذه الكلمات تفاؤلاً.

ضحكت شيلا:

ـ ظننت أنهم يوقفون كل شيء من أجل غداء في غرفة الاجتماعات.

ـ لو حصلوا على طلب مسبق لفعلوا ولكن ما دام الطعام لرؤساء الأقسام فقط فلا بهم.

ضحكت شيلا مجدداً: «ألا اعتبار لهم؟».

ـ يعملون هنا فقط. ولكن لو اجتمع مجلس الإدارة لاختلفت القصة.

نظرت شيلا إليها مفكرة:

ـ بمناسبة الحديث عن مجلس الإدارة وصلت فيكي مارشال ليلة أمس ونحن على وشك الخروج.

ضحكت مايفز:

ـ آه، التقيت إذن بالآنسة العالمية؟

ـ أبهذا تلقبونها؟

ـ بل بهذه الطريقة تتصرف. فمنذ تركت المدرسة وهي تلازم هذا المكان في محاولة دؤوب لدفع شاين إلى الاهتمام بها. إن كبرياءها المصطنعة وأناقتها المفرطة تؤثر في أعصابي.. لقد حاولت الإيحاء بوجود شيء ما بيني وبين شاين ولكني سرعان ما قلت لها اغربي عن وجهي!

ـ أإلى هذا الحد هي متسلطة؟

وجدت الملف الذي طلبه شاين، وسحبته من الخزانة.. كشرت مايفز:

ـ متسلطة؟ كانت تعمل في قسم الطباعة فتاة شغفت بشاين عدة أشهر. أخطأ مرة أو مرتين في الحديث معها كبشر.. في إحدى الليالي عملت كالعبدة لساعات طوال فدعاها إلى العشاء، واشترى لها بعض الأزهار تعبيراً عن التقدير، فهو يقدر من يعمل معه. وكان أن لاحظت فيكي مارشال انجذاب تلك الشابة إليه، فاختلقت فضيحة رهيبة وحاول شاين تلطيف الأمور.. ولكن الشابة ركبت رأسها وسبّبت له فضيحة أيضاً، فقرّر نقل الفتاة إلى قسم آخر بعيداً عنه قدر المستطاع.

كانت عينا شيلا قاسيتين براقتين كقطعتي ألماس. حين أنهت مايفز كلامها قالت ببرود:

ـ يا للطفلة المسكينة!

هزت مايفز كتفيها:

ـ أسفت عليها وأسف شاين أيضاً عليها فطلب مني التحدث إليها. أظنه وجد الأمر في غاية الإحراج، ولم يرغب في جرح مشاعر الفتاة. حاولت التحدث إليها ولكنها كانت عنيدة، وفي النهاية اضطر شاين لإبعادها عن الصورة.

ـ أجل. من الأفضل أن أحمل إليه الملف.

ـ آه، يا إلهي! نسيت القهوة والإسبرين لك! سأسرع لإحضارها الآن، وسأحملها لك إلى مكتبه. أظنه سيرحب بالقهوة أيضاً.

دخلت شيلا إلى مكتب شاين فوجدته يملي رسائله على آلة تسجيل. أطفأها ثم نظر إليها بخبث:

ـ تبدين كالشبح.. ألم تنامي شيلا؟

وضعت الملف على مكتبه.

ـ هذا هو الملف الذي طلبته سيد وود.

ارتدّ إلى الوراء ولكن عينيه راحتا تتأملان وجهها. ثم سأل:

ـ أتوصلت إلى استنتاجات معينة؟

ـ استناجات؟ أي استناجات؟

ـ تعرفين عما أتكلم!

رفعت نظرها إليه ببرود:

ـ استنتجت أنني لست سوى سكرتيرة فقط. إن لم يكن لديك ما تريد مني أن أفعله عدتُ إلى مكتبي لأتابع تعلم نظام الأرشيف.

صر شفتيه، لم هز كتفيه:

ـ جيد جداً شيلا. أستطيع لعب لعبة الانتظار.

بدا لبرهة التشوش على وجهها، ثم أبعدت عنها ذلك التعبير، وأخفضت عينيها:

ـ أهذا كل شيء سيد وود؟

ـ ليس تماماً. لدي موعد في العاشرة مع جمعية الاتحاد العمالي. عليك تسجيل الملاحظات.

ردت بأدب: «حاضر، سيد وود».

ابتسم وهي تهم بالوقوف:

ـ إن قدرتي على الاحتمال أقوى من قدرتك شيلا. أرجو أن تكوني على استعداد لحصار طويل.

رن جرس الهاتف في الخارج، وتذكرت شيلا أن مايفز ذهبت لتحضر القهوة، فخرجت لترد. كان المتكلم رامزي:

ـ كيف حالك هذا الصباح؟

ـ بخير. شكراً لك.

كانت تعرف أنها تركت الباب بين غرفتها وغرفة شاين مفتوحاً وسمعته يسأل:

ـ تمتعت بسهرة الأمس؟

في لهجته شيء ما جعلها تعرف أنه في قسم المحاسبة محاط بزملائه كما شعرت بأنه يتوق إلى أن ترد عليه بحماسة. فارتسمت ابتسامة خفيفة على فمها استندت إلى صوتها:

ـ كانت رائعة رامزي.

ـ أنا سعيد. ما رأيك بما هو مختلف في المرة القادمة؟ ستقام ليلة السبت حفلة قد تكون مسلية.

ـ حفلة؟

عبست لأنها سمعت حركة خفيفة وراءها فلمّا التفتت وجدت شاين غاضباً. قالت متعمدة:

ـ يبدو أن هذا أمر لطيف رامزي.

تقدم شاين إليها، فنظرت إليه بقلق، أما رامزي فكان يتابع بلهفة:

ـ تبدأ في التاسعة. لكن يمكننا تناول العشاء أولاً.

وضع شاين إصبعه تحت ذقن شيلا وأدار وجهها بالقوة قائلاً بقسوة فائقة «لا!» فتصاعد الدم الساخن إلى وجنتيها فحاولت الرد بتحد، ولكنه أخذ السماعة من يدها ووضعها مكانها بحدة، فصاحت به:

ـ كيف تجرؤ على إقفال الخط هكذا؟ إن أردت الخروج مع رامزي فسأخرج ولن تحول أنت دون ذلك.

رن الهاتف مجدداً، فتحركت لتلتقطه ولكن شاين كان أسرع منها فصاح برد: «نعم».

سمعت شيلا تمتمة محرجة مرتبكة.. وأصغى شاين ببرود، ثم رد بخشونة:

ـ باولوس.. سكرتيرتي موجودة هنا للعمل عندي لا لتلقي قسم المحاسبة واعلم أنه لا يمكنها استقبال مكالمات خاصة.

وصفق السماعة مجدداً فقالت وهي تستشيط غيظاً:

ـ لا يحق لك أن تفعل ذلك!

ـ لي كل الحق.. أقولها للمرة الأخيرة شيلا، لن أسمح لك بالخروج مع أي رجل آخر، فهل فهمت؟

وقفت مايفز الحاملة الصينية جامدة كالأموات، فقد سمعت آخر مقطع من الجملة وطفقت تحملق ببلاهة وذهول. التفت شاين عندما التقط النظرة في عيني شيلا ثم عاد إلى غرفته، يصفق الباب خلفه بقوة ارتجت لها أركان الغرفة.

سعت عينا مايفز إلى شيلا بسؤال حائر ولكن شيلا تجاهلت السؤال الصامت وعادت إلى العمل . . بعد لحظة وضعت مايفز فنجان القهوة وقرصين من الأسبرين قربها، فتمتمت شيلا عن غير وعي: «شكراً لك».

بدأت مايفز عملها الخاص بدون أن تعلق على ما سمعته. ولكن كانت شيلا طوال فترة الصباح تحس بحيرتها، وتشعر بنظرات الفضول التي كانت توجهها إليها حين كانت تظن أنها لا تراها.

* * *

٨ ـ سأحطمك!

كان آخر يوم تقضيه مايفز بالعمل حافلاً فقد قدم لها شاين هدية زفاف من الموظفين وهي مجموعة جميلة من أغطية السرائر ثم ألقى خطاباً صغيراً في غرفة الاجتماعات وسط حشد من الموظفين الذين راحوا يصغون ويصفقون. وكانت هي أثناء حفلة التوديع تضحك مبتهجة ومتفعلة، ثم انحنت تقبل خد شاين وعيناها تمازحتان.

ـ شكراً لك. لن أقول خطاباً لأنني أكره الخطابات بل سأكتفي ببعض كلمات الشكر.

وقفت شيلا في مؤخرة الغرفة وهي تحس بأنها مستثناة من أحاديث الموظفين. وبما أنه يوم مايفز الأخير فمن المستحسن أن تبتعد حتى تبقى مايفز محط الأنظار.

بعد هنيهة، تسللت شيلا إلى مكتبها لتكمل عملها، ومضى اليوم بطريقة ما. في وقت لاحق عاد شاين الذي نظر إليها ببرود قبل أن يدخل إلى مكتبه ليقوم باتصالات هاتفية طويلة.

كان المبنى يضج بالنشاط، كانت الآلات الكاتبة والكمبيوترات ترعد. أما الهاتف فكان يرن في كل مكان، والناس يدخلون لمحادثة شاين ثم يخرجون وهم يهزون رؤوسهم تحية لشيلا.

عادت مايفز بعد أن ودعت الجميع، وتحدثت إليهم:

ـ أنا واثقة أنك فهمت طبيعة العمل ولكنني تركت لك عدداً كبيراً من الملاحظات التي يمكنك استشارتها إذا احتجت. . ومن المستحسن أن تتركيها جاهزة يوماً بيوم فقد تضطرين لترك العمل على عجلة وعندها سيكون على أحداهن الحلول مكانك.

نظرت إليها شيلا باستغراب، تلاحظ لهجتها. . ماذا فهمت مايفز مما سمعته؟

دخل شاين رافعاً كميه فالحاً ياقة قميصه، وكان التعب بادياً على وجهه. تحدث إلى مايفز قليلاً:

- تمنياتي الحارة لك. سأسعى جهدي لأحضر الزفاف لكنك تعرفين طبيعة هذا العمل.

- أود لو تكون حاضراً. حاول شاين.

جمعت أغراضها، ونظرت إلى المكتب نظرة وداع، ثم قالت:

- آه، فليبق المركب عائماً.

حين خرجت، بدأت شيلا ترتب مكتبها ولكنها كانت تعرف أن شاين يراقبها.. وما إن انتهى هذا اليوم حتى شعرت بالألم يمتد من رأسها إلى أخمص قدميها فقد كان ضغط اليومين الماضيين قاتلاً، مما اضطرها للعمل إلى أقصى حد حتى تستطيع مجاراة ركب هذه الحركة.

مرر شاين يده على مؤخرة عنقه، وسأل بكسل..

- أترغبين في العشاء؟

هزت رأسها نفياً.. وجمعت حقيبتها وسلة مشتريات اشترتها ساعة الغداء قائلة:

- أود لو أستحم ثم أنام.

تقدم يقف في طريقها:

- وهل تخططين للذهاب إلى تلك الحفلة غداً؟

كان صوته بارداً ينذر بالشر، فأجابت متمردة:

- أنا سكرتيرتك ليس إلا وهذا يعني أن حياتي الخاصة هي شأني الخاص.

أمسك مرفقيها بشدة: «ادخلي إلى مكتبي، أريد محادثتك».

- أنا متعبة شاين.

ولكنه جرها خلفه وأقفل الباب.

واجهته شيلا بتحد فأخذ ينظر إليها وهو يتابع فرك مؤخرة عنقه وفي عينيه قلق متجهم.

- شيلا.. ألم يعلمك ما حصل لك مع خطيبك السابق شيئاً؟ أنت لست منجذبة إلى باولوس أكثر من انجذابك لثود.. إنه رقيق لطيف ولكنني أنا

وأنت نعرف أن لا مستقبل لهذه العلاقة، فإن أقمت معه علاقة أذيت نفسك.. بالله عليك شيلا، دعيه وشأنه.

تورد وجهها: «نصف الأمر وكأنني من ألاحقه».

- لست بحاجة لملاحقته، إن مجرد نظرة جانبية منك تدفع مطلق رجل تريدينه للسعي وراءك.. أليس كذلك؟

أحست بنبضاتها تضطرب فنفضت طرفها:

- أنا لست امرأة تغوي الرجال.

- ألست هكذا؟ بل أقول إنك تغويتهم بطريقتك الخاصة الهادئة الباردة، دمرت خطيبك. رأيت منذ وقعت عيناي عليكما كيف ينتفض لأقل نظرة منك. لقد رأيت بذلك بوضوح شديد، وقلت لي إنك تشعرين بالندم على ما فعلته به.

- فعلاً.. فأنا لم أرغب يوماً أن أجرحه.

- إذن اتركي باولوس وشأنه، فستجرحينه أكثر مما جرحت الآخر.. وستندمين حين لا ينفع الندم.

- تجعلني أبدو خسيسة!

- بل قاسية شيلا.. قطة صغيرة قاسية، ذات مخالب حادة.. إن كل من ينظر إليك من الرجال يرغب في أن يمسّد بيده ذلك الفراء الناعم الحريري، الذي تسمحين أحياناً لأحدهم بتمسيده حتى تغرزي تلك المخالب الحادة في لحمه لتقطعيه إرباً.

- لا! لا تصفني بهذه الطريقة!

رد ببرود:

- أنا مضطر لذلك لأنك تبدين غير قادرة على اتخاذ مثل هذه القرارات وحدك. إن كنت لا تريدين إيصال باولوس الشاب إلى حالة اليأس التي أوصلت إليها خطيبك فابتعدي عنه وعن أي رجل ينظر إليك.

أخفضت نظرها، تسأل بصوت خفيض: «حتى أنت؟».

ساد صمت، نظرت إليه من بين أهدابها فرأت وجهه القاسي التعب، يلمع تحت أشعة شمس العصر، وابتسامة قلق على فمه. ورد عليها:

ـ أنا مختلف . . لم أعان قط من الخيالات بشأنك . حاولي استخدام مخالبك ضدي وستريين أنني سأرد لك الأذى .

تحرك فجأة بمسكها بكتفيها :

ـ أنا لست كالآخرين شيلا بل أعرف كيف أرد لك الأذية . .

ارتجفت : «لن أسمح لك بذلك» .

ابتسم ساخراً ، ثم تنهد :

ـ يا إلهي . أنا متعب جداً الليلة أكاد لا أقوى على الجدال . كان أسبوعاً متعباً فاتركي الجدال جانباً وقولي ما أريد سماعه فقط .

عضت شفتها مترددة ، وفي تلك اللحظة سمعا وقع أقدام تقترب من المكتب ، فتركها فجأة لينفتح الباب بين غرفته وغرفتها ، ثم عاد إليها وفي عينيه نظرة غريبة .

سمعت صوت رامزي يناديها وهو يدخل إلى مكتبها . ولكن قبل أن ترد ، جذبها شاين بقسوة إلى ذراعيه وأجبرتها يداه على الاذعان .

سمعت خطوات رامزي تتوقف . وارتفعت يد شاين إلى مؤخرة رأسها يرفعه إلى الأعلى ، فأغمضت عينيها مرتجفة . بعد هنيهة بدأ وقع أقدام رامزي يتلاشى وعندما أقفل باب مكتبها ، تركها شاين .

نظر إليها بابتسامة ساخرة ، فقالت ترتجف :

ـ ماكر جداً شاين . . ولكن ألم يبدر إلى ذهنك أن سماحك لأحد المحاسبين برؤية هذا المشهد ، غلطة غبية؟ بعد نصف ساعة سيعلم الجميع بـ رآه .

رد ببرود :

ـ قلت لك إنني سأدمغك باسم وود حتى يعرف الجميع أنك لي .

ـ بما فيهم فيكي مارشال؟

ضاقت عيناه ، وقال كأنما لنفسه : «نسيت فيكي» .

ـ أنا واثقة أن الخبر سيسرها .

نظر إليها نظرة غريبة :

ـ تبدين متعبة بمقدار ما أنا متعب شيلا . سأقلك إلى المنزل .

ـ لا . . شكراً لك .

قال بصوت ملؤه الضجر .

ـ لقد اكتفيت من الجدال معك هذا اليوم . تغذي ما أطلبه شيلا . . رأسي يؤلمني ، وأحس بقبضة حديدية على عنقي .

صاحت به بحدة وهي تغادر المكتب : «آمل أن تختنق» .

لحق بها إلى المصعد ، ونزلا إلى موقف السيارات بصمت . . وفيما كان يجلسها في مقعدها لمحت رامزي في سيارة سباق صغيرة ، يراقبهما ، ووجهه قاتم . وكان إلى جانبه محاسب آخر على وجهه ترتسم ابتسامة كبيرة .

صعد شاين إلى جانبها ينظر إليها متسائلاً :

ـ تعودي على الأمر شيلا . . فما إن يحل يوم الاثنين حتى يعرف الجميع أنك لي .

تمتمت من بين أنفاسها :

ـ أنت مجنون!

توقف شاين أمام منزل تود ، وقال :

ـ لو كنت سامرية صالحة لأعطيتني قرصين من الأسبرين وفنجان شاي . يكاد رأسي ينفجر .

ـ الاحتمال الوارد في ذهني هو دفن فأس في رأسك .

وضعت يدها لتفتح الباب ، فلحق بها إلى السلم . نظرت إليه متوترة :

ـ شاين عد إلى منزلك وحاول اللجوء إلى النوم . تبدو مرهقاً .

ابتسم ابتسامة ساخرة ، متوسلة :

ـ لا أريد منك إلا فنجان شاي .

تنهدت : «أنت مستحيل» .

عندما كان يهمان بالدخول خرج من المطبخ تود الذي ما إن شاهد شاين معها حتى توقف . لاحظت شيلا نظرته الغريبة التي سرعان ما تلاشت أمام تحية احترام :

ـ كيف حالك شاين؟

مرر يده على عنقه ثانية وأجاب :

ـ مرهق . . ستعطيني شيلا الشاي والأسبرين .

نظر تود إليهما ، ثم هز رأسه واتجه إلى غرفته .

ارتفت شيلا السلالم مضرجة الوجه . ماذا سيظن بها تود حين يسمع الشائعات يوم الاثنين؟

دخلت إلى مطبخ شقتها ووضعت الغلاية على النار أما شاين فجلس في أريكة صغيرة مغمضاً عينيه . عادت شيلا إليه بصينية الشاي فإذا به هامد وقسمات وجهه رقيقة حتى الوهن . أعلمتها أنفاسه المنتظمة أنه نائم ، فوضعت الصينية من يدها وتسللت على رؤوس أصابعها إلى المطبخ ، تتقل الباب وراءها بهدوء .

حضرت صينية كبد وكلى ووضعتها في الفرن ، ثم بدأت تنظف الخضار لتحضر السلطة . ثم انطلقت في المطبخ تقوم بأشياء أخرى قبل أن تعود بهدوء إلى غرفة الجلوس لتجد شاين نائماً ، وجهه على الوسادة وشعره الأسود الغضي مشعث ، جلست في كرسي مجنبية ، وأسندت ظهرها تراقبه ، فجأة سمعت وقع أقدام على السلم ، فوقفت بسرعة تتقدم نحو الباب قبل أن يقرعه أحد .

حين فتحته ، شاهدت السيدة تود وفي عينيها القلق ، تحمل في يدها طبقاً من الكعك الحلو . سارعت شيلا تضع أصبعها على شفتيها تهمس مشيرة إلى الأريكة :

ـ شاين نائم . . ما إن جلس هناك حتى غفا .

استرخى وجه السيدة وقالت : «يا للحمل الوديع!» .

خفق قلب شيلا للوصف الرقيق ، وصف غريب جداً بالنسبة لشاين .

أضافت السيدة تود وهي تعطيها الطبق :

ـ حملت إليك الكعك الحلو من أجل الشاي ، إنه يحبه .

همست شيلا :

ـ شكراً لك . لا أريد أن أوقظه فهو متعب .

نظرت إليها المرأة نظرة غريبة أخرى ، وهزت رأسها هاسة :

ـ أنت على حق . . فلو عاد إلى منزله لما وجد فيه سوى ذلك الرجل الذي يديره له ، وهو لا يضع البشر ولا الحيوان . أوه . . إنه يقوم بعمله ولكنه رجل

جلف ، وليس هناك من يمنع شاين من العمل إذا كان مرهقاً .

قالت وهي تستعد للذهاب :

ـ هل ستكونين على ما يرام معه . . شيلا؟

كان السؤال رغم بساطته يخفي الفضول وراءه .

ـ أجل . شكراً لك سيدة تود .

أقفلت شيلا الباب بهدوء ، وعادت إلى كرسيها . . وتابع شاين الاسترخاء وخطوط وجهه القاسية هادئة ، وازداد ظلام الغرفة ولكنها لم ترغب في إضاءة النور لئلا توقظه . . وتلاشى كذلك دفء الصيف الخفيف وتركها تحس بالبرد . كانت تود لو تشعل المدفأة الغازية ولكن هذا قد يزعج منامه . . ثم دخلت إلى المطبخ لترى إن كان الطعام قد نضج . ملأت رائحة شهية المطبخ وبدأت معدتها تتشوق إلى الطعام . ولكنها عادت إلى شاين .

استيقظ بعد هذا بقليل ، يتقلب في مكانه ورأسه يعود ثانية إلى ذراع الأريكة . . فتح عينيه ، مقطباً ، وبدا الارتباك على وجهه ، فراقبته شيلا من مقعدها ورأسها على ركبتيها .

حدقت عيناه إليها في ظلام الغرفة . . وتساءلت عما إذا كان يتذكر أين هو ، ثم قال بتكاسل :

ـ أسدلي شعرك الذهبي شيلا .

ضحكت : «نمت مدة ساعتين . أتشعر بالتحسن؟» .

تمطى . . ذراعاه فوق رأسه وعضلات جسده المفتولة تشتد . وخفق قلب شيلا بين جنبيها ووقفت لتخفي التجاوب الفوري :

ـ حضرت الكبد والكلى للعشاء . . أجائع؟

ـ أكاد أموت جوعاً .

دخلت إلى المطبخ وهناك أضاءت النور الذي صرف الظلام عن الشقة . وفيما هي تنصب الطعام سمعت شاين يتحرك في غرفة الجلوس وعندما عادت حاملة الأطباق الساخنة والسلطة وجدته أشعل المدفأة وأقفل الستائر ، فبدت الغرفة محققة ، تنعم بالدفء والنور . . أخذ شاين يحضر طاولة الطعام الصغيرة قرب النافذة

حيث وضعت شيلا العشاء في منتصفها. قال وهو يجلسها:

ـ أرجو أن يكون الطعام لذيذاً.

ضحكت: «احمد ربك لأنك حصلت على عشاء».

ـ أشكرك لأنك تركتني نائماً شيلا.. كنت متعبة أيضاً وما زلت متعبة.

قدمت له الطعام الشهي الرائحة الذي دغدغ شهيتها، أكلاه بصمت كامل وسط جو هادىء مسالم. وبدا لها أن التوتر الذي كانت تشعر به عندما تكون معه في غرفة واحدة قد تلاشى تماماً هذه الأمسية.. وأحست أنها في بيتها.

غسلا الصحون معاً، في المطبخ الصغير.. بعد قليل عاد شاين إلى غرفة الجلوس فوجد آلة التسجيل التي وضع فيها شريطاً.. وقفت شيلا في الباب تراقبه بتمدد من جديد على الأريكة. ربت على المقعد بجانبه صامتاً، فأحست شيلا برعشة قلق، فابتسم يقرأ ما في فكرها:

ـ سأذهب بعد نصف ساعة. اجلسي واسترخي.. أنت متعبة وأنا كذلك.

جلست جلسة من يستعد للهرب. صدح صوت موسيقى ناعمة في الغرفة، فرفع ذراعه لتلف كتفيها، وتجذبها إليه.. ثم دفعت يده رأسها ليستريح على صدره. أرادت المقاومة ولكنها عادت فعدلت عن رأيها. إنها متعبة جداً. تنهدت ثم استرخت على صدره. وتكورت ساقيها تحتها في وضع مريح تماماً. وأخذت يده تعبث ببراعة بالدبابيس في شعرها، فابتسمت:

ـ دع شعري وشأنه.

مرر أصابعه فيه:

ـ إنه كشلال ذهبي يلمع ذهبه تحت وهج النار.

ـ لا أستطيع أبداً وصفك بالإنسان الرومانسي شاين.

طبع قبلة على شعرها.

ـ الرجال رومانسيون دوماً في أعماقهم ولكنهم يكرهون أن تكتشف النساء هذا. النساء هن العنيدات.

وسألته: «أيعجبك براهمز الموسيقي؟».

تابع العبث بشعرها: «جداً».

رفع خصلة من شعرها يمررها على أنفه.

ـ هل الشامبو الذي تستخدمينه هو ما يجعل رائحة شعرك برائحة الزهور؟

أغمضت عينيها: «أي نوع من الزهور؟»

ـ الورود.. البنفسج.

ضحكت: «في الواقع أنا أغسله بالبيض والخل».

تأوه: «كما قلت قبل قليل. النساء هن العنيدات».

سألته وهي تشعر بالنعس:

ـ هل جوابي خاطىء؟

ـ نعم، جواب خاطىء.

حرك جسده قليلاً توقع رأسها على ذراعه وبقي جسمها على حجره، رفرفت عينيها بدهشة وكسل، وهمست:

ـ أشعر بنعاس شديد شاين.

ـ أعرف.

استسلمت شيلا للراحة حتى غفت، فتراجع شاين إلى الوراء يتأمل وجهها الهادىء البيضاوي ويده تدفع الشعر الأشقر إلى الوراء. سحبت شيلا نفساً عميقاً، ثم حاولت فتح عينيها ولكنه حملها بين ذراعيه وسار بها إلى غرفة النوم: «لا، شاين».

ـ أنت مرهقة.

نزع فستانها وحذاءها ولكنها كانت قد غرقت في حالة ضبابية من اللاوعي فقالت:

ـ أستطيع إتمام ما بدأته.

ضحك:

ـ نصبحين على خير شيلا.. سأخرج.

قبلت قبلة على رأسها وعيناها ترنجفان. سار نحو الباب، فراقبته وهي في الفراش حيث شعرها الأشقر يحيط برأسها كأنه هالة من نور ذهبي على كتفيها.. وجه إليها نظرة قرأت فيها رغبة ولكنه خرج بدون أن ينبس بكلمة فتنهدت.

تلك الليلة، بدا لها أن شيئاً قد تغير في توازن علاقتهما. . عادت شيلا الاثنين التالي إلى العمل، فوجدت نفسها كما كانت تخشى، محط النظرات الفضولية المتسائلة، وأخذت تنتظر وصول شاين بارتباك شديد. حين دخل إلى المكتب أنيقاً نظر إليها، وعلى وجهه ابتسامة خفيفة، وفي عينيه دفء.

ـ صباح الخير شيلا. . هل أمضيت عطلة أسبوع لطيفة؟

ـ أجل. . شكراً لك. . وأنت!

كان ردها متمهلاً قليلاً، وعن عمد. . كانت تتوقع أن تسمع منه شيئاً في عطلة الأسبوع، لكنه لم يفعل.

تنهد بجبياً:

ـ كان رائعاً. . زرت والدتي.

قالت متعجبة متسائلة: «آه؟».

لا تعرف عنه شيئاً سوى ما قالته السيدة تود. . وقال لها:

ـ يعيشان في بوركشاير في منطقة جميلة معزولة وهادئة. ولكنها في الوقت نفسه قريبة من الأسواق والإبحار.

نظرت إليه بدهشة:

ـ الإبحار؟ أتجيد الإبحار؟

ـ عندي مركب في سكاربورج وحين أزور أهلي أحب أن أبحر لساعتين أو ثلاث. . فهذا يريح أعصابي، كما يمثل لي صراعاً من نوع آخر.

نظرت إليه مفكرة:

ـ تحب الصراع إذن شاين؟

نظر إليها نظرة ساخرة وابتسم، ليقول بصوت ناعم:

ـ الصراع بالنسبة لي منفس الحياة.

رن جرس الهاتف فأجابت وعندما عرفت صاحبة الصوت أجابت ببرود:

ـ طبعاً آنسة مارشال. . سأحوّل المخابرة حالاً.

التفتت تنظر إلى شاين بصمت. فابتسم، ودخل إلى مكتبه يقفل الباب وراءه، فحوّلت شيلا المكالمة إليه، وتابعت عملها. . فما إن تبدأ دقة العمل

بالحركة حتى تستمر دون توقف وهكذا ظلت منذ لحظة وصولها وحتى ساعة رحيلها تعمل.

أصبحت علاقتها بشاين حميمة بهدوء، وكأنهما صديقان قديمان. كان يكلمها بسهولة وثقة ويصغي إلى حكمها حين تعترضه مشكلة ما، وكان أن عملا بتناغم كامل معاً يوماً بعد يوم.

عرفت شيلا أن الشائعات تدور حولهما بحرية ولذلك امتنعت عن تناول الطعام في الكافتيريا فهي إن قصدتها أصبحت محط أنظار الجميع وهذا ما لا تطيقه. في بعض الأحيان كانت تحمل معها سلة طعام صغيرة لتأكل في المكتب، وأحياناً أخرى كانت تأكل في قاعة الاجتماعات حين يكون لدى شاين غداء عمل. وقد حدث مرة أو مرتين أن توقف في الساعة الواحدة عن العمل ليقول عفوياً: «لنخرج شيلا لتناول الغداء» وكانت هي ترافقه بدون أن تحتج ولكن حديثهما حتى في المطعم لم يكن يتجاوز العمل.

توقفت عن التفكير في ما يجري بينهما، وتوقفت عن التخطيط للانتقام منه بسبب ما فعله بألثيا. كانت تعيش يوماً بيوم في حالة غيبوبة، وكأنها لا تدري إلى أين ستجرفها الحياة.

أتت فيكي من وقت إلى آخر إلى المكتب، فعاملت شيلا بتهذيب بشوبه الحذر. فمن الواضح أنها لم تسمع الشائعات التي تطوف في المبنى. إنها فقط مسألة وقت. ترى ماذا سيفعل شاين ساعتئذ؟

كان يخطر ببالها أحياناً أنه سيمحوها من حياته بالقسوة التي محا بها ألثيا. ولكن هذه النظرة لم تكن مقنعة، بطريقة ما. كانت تراقبه وهو يكلم فيكي، فتحس بالشفقة على الوجه المحبب الضعيف الذي يرتفع إليه بشغف. كانت تعلم في أعماقها أن فيكي لم ترَ يوماً شاين كما رأته هي. . والعلاقة بينهما غير متساوية، فيكي خارج عالمه بل هي لا تعرف أبداً طبيعته الحقيقية. . كانت تحيط به هالة صورته المتألقة كلما نظرت إليه هاتان العينان الخضراوان. ومع ذلك، كانت شيلا تعرف جيداً أن الصورة التي يبرزها علناً لم تكن سوى ظل الرجل لا الرجل نفسه.

نامت شيلا حين فكرت بما ستشعر به فيكي عندما تسمع الشائعات

الدائرة. لم تكن ترغب في إيلام الفتاة.

مرت الأسابيع، وولى الصيف وتقدم الخريف. وأصبحت شيلا معتادة على العمل المكتبي وباتت لا تشعر كثيراً بضغط العمل الملقى على عاتقها.. ما إن حل شهر أيلول حتى سافرت فيكي مارشال إلى أميركا لزيارة عمها في سان فرانسيسكو وكانت ستقضي هناك شهراً. أراح الخبر شيلا، فقد أخّر سفرها لحظة انفجار غيرة فيكي واتهاماتها.

أشعرتها الساعات الطويلة التي تقضيها برفقة شاين ببهجة خاصة وتمتعت بالعمل معه. ومع الوقت تمكنت من رفع بعض أعباء العمل عن كاهله إذ كانت تتعامل مع الأعمال المكتبية التي تتكدس على مكتبه يومياً، تقرر ما إذا كان عليه مراجعة هذا الملف أو ذاك، وكتابة مختصر لكل رسالة، أو فكرة رد، مما أتاح لها نظرة أشمل على ما يجري في الشركة.

تكرّر خروجهما معاً إلى الغداء. فعندما لا يشارك شاين في حضور اجتماع عمل ضروري كان ينطلقان معاً للغداء وفي أمسيات عديدة أوصلها إلى المنزل ورافقها إلى الشقة لتناول العشاء الذي تحضره وكانا بعد العشاء يجلسان على الأريكة يصغيان إلى الموسيقى أمام نار المدفأة ورأسها على حجره، ويده على شعرها تمسّد خصلاته.

في إحدى المرات قال لها ساخراً:

ـ إنها عملية تربح أعصابي، فهي أفضل من التلاعب بمسبحة.

ردت تمسك لسانها عن إجابة سليطة:

ـ شكراً.. وربما علي أن أسجله كاختراع جديد.. فقد أصيب ثروة من رجال الأعمال المتعبين.

لمعت عيناه:

ـ لا شك عندي أنك قادرة على هذا.. لكن قد يكون لي رأي في هذا الصدد.

ردت ساخرة: «لك رأي في كل شيء».

ضم وجهها بين كفيه الدافئتين وقبل شعرها بالطريقة المثيرة التي كانت تشعل النار في دمها، وتجعلها ضعيفة بين يديه.

كانت الأمسيات كلها تنتهي بطريقة متشابهة. كان يغازلها بشوق حتى تصل إلى مرحلة الجنون وعندها يقف ويذهب تاركاً إياها تتلظى بألم الإحباط والغضب.

في إحدى الليالي عندما وقف يسوّي شعره الأشعث انفجرت في وجهه بخشونة:

ـ ماذا تفعل بي شاين؟ أتحاول تحطيم معنوياتي؟

نظر إليها متسائلاً باستغراب: «أهذا ما أفعله بك شيلا؟».

ردت بغضب:

ـ لا أدري ماذا تفعل بي. أنت تجردني من عقلي!

سألها بهدوء: «لماذا؟»

وقفت تسير بقلق إلى المدفأة:

ـ آه، انس الأمر.. تصبح على خير شاين.

دنا منها: «أجيبي عن سؤالي».

هزت رأسها رافضة، فأدارها لتواجهه وشدت أصابعه على كتفيها.

ـ لماذا أجردك من عقلك.. شيلا؟

ـ تعرف جيداً السبب.

ـ أخبريني أنت.

ـ لماذا أخبرك بما تعرفه؟

هزها قليلاً: «أريد سماعه منك».

سحبت نفساً عميقاً:

ـ أظن الوقت قد حان لنتوقف عن كل هذا.. لقد تمادينا به زمناً طويلاً.

ـ ولو دام إلى ما تبقى من حياتنا شيلا.. سأحطمك.

أرسل تصريحه الوقح الدم إلى وجهها بسرعة، فنظرت إليه. عيناها الزرقاوان كادتا تصبحان سوداوين من فرط شحوب وجهها. لقد اعترف بما ينوي.

ارتفع ذقنها، واشتد ضغط فمها. قالت بهدوء:

ـ من الأفضل أن ترحل شاين.

نظر إليها بعينين ضيقتين قاسيتين:

ـ كم أود لو أنتزع الطبقة العليا من هذا الرأس، لأرى ماذا يدور فيه. أنت خبيرة في فن التمويه والخدع.. الله وحده يعلم ماذا وراء هذا الوجه المنحوت بتقنة وإتقان.

ـ نحن متشابهان.. أليس هذا ما قلته لي؟ وأنا أيضاً لا أفهمك شاين.

بدا على قسمات وجهه نظرة تفكير غريبة، وكأنه يدرس حل معضلة تثير اضطرابه. حاولت عيناه التدقيق في نظرتها الحذرة.. لكنها لم تظهر له سوى نظرة جامدة.. وكررت:

ـ تصبح على خير شاين.

توجه إلى الباب ولكنه نظر إليها نظرة غريبة قبل أن يرحل.. جلست وحدها على السجادة أمام النار لتضع وجهها البارد على ركبتيها المرفوعتين.. غطى شعرها المسترسل يديها.. وبدأت الدموع تتحدر ببطء على وجهها.

وكأنما تلك الدموع كانت حبيسة منذ قرون.. فأخذت تزداد بالتدريج حتى أصبحت نحيباً وبكت حتى تعبت.

غير أنها لم تسأل نفسها عن سبب هذه الدموع التي كادت لا تنضب. كانت الدموع منتظرة في مآقيها منذ فترة طويلة.. وحين توقفت الدموع، كانت جاهزة للنوم، وغطت في نوم سريع.

ملأت شمس الخريف المكتب في الصباح التالي.. فشعت على الأثاث والجدران. عملت شيلا بهدوء، ووجهها هادىء مكبوح، وكأنما لم تبك بعجز في الليلة السابقة.

وصل شاين، ونظر إليها نظرة حذرة، ثم دخل إلى مكتبه. وبدأ الهاتف رنينه الدؤوب وتوافد الزوار من رجال الأعمال، فحمدت الله لاضطرارها الى التركيز على الروتين اليومي.

بعد ظهر ذلك اليوم، استدعاها شاين إلى مكتبه لتسجل ملاحظاتها وراحا يصغيان معاً إلى تسجيل حديث أجراه هذا الصباح.. وقال لها نافذ الصبر:

ـ أظنني فقدت الحلقة الضعيفة في مكان ما من هذا الحديث، لقد قال شيئاً أساسياً، وفقدت صلتي به.

أصغيا إلى الشريط مرتين، قبل أن تقول شيلا فجأة:

ـ انتظر لحظة.. أرجع الحديث قليلاً.

أرجع شاين الشريط المسجل، وأصغيا إليه ثانية. فجأة نظرت إليه قائلة:

ـ ألاحظت هذا؟ عندما تحدث عن المفاوضات بدا في صوته بعض التردد.. ربما اللجنة غير منيعة كما تظهر.

ارتد شاين إلى مقعده، يرمي قلمه على الطاولة:

ـ هذه هي..! كنت أعرف أن في حديثه ثغرة ما.

ابتسم لها: «كنت مشوش الفكر، حائراً طوال النهار. لقد حاول طبعاً إخفاء الأمر عني.. لكن ضعفه كان موجوداً».

فجأة انفتح الباب بقوة. ودخلت فيكي مارشال إلى المكتب. ممتقعة الوجه غاضبة غضباً متوحشاً. ما إن ألقت شيلا نظرة واحدة حتى شعرت بقلبها يتضور ألماً. كانت الفتاة تتأجج غيرة وغضباً.

ـ شاين.. هل الأمر صحيح؟ لا تكذب علي؟ أنت وهي.. آه، شاين، كيف يمكنك هذا؟ إنه، إنه أمر رهيب!

نظرت إلى شيلا بمرارة عنيفة:

ـ أنت عشيقته.. لقد مضت هذه الأشهر وأنت تتظاهرين بالبرود والأدب، مع أنك عشيقته!

التفتت إلى شاين، والدموع مغرورقة في مآقيها:

ـ أكرهك.. أظنك كريهاً! حين يسمع «دادي» بهذا فسوف..

تحطمت الكلمات على ثغرها وارتجفت:

ـ.. سوف يكرهك أيضاً.

وقفت شيلا بهدوء تهم بالخروج ولكن فيكي قفزت إليها كقطة متوحشة، ومزقت أظافرها خد شيلا الناعم. أصدر شاين صوتاً غاضباً من بين أنفاسه وأمسك بالفتاة.. كان الدم يسيل على خد شيلا الأبيض. نظرت إليه بحدة، ثم خرجت من الغرفة. سمعت عويل فيكي الحاد، وتمتمات شاين الناعمة.

كانت غرفة الملابس فارغة حين دخلت إليها فغسلت وجهها ثم جففته. بعد ذلك حاولت إخفاء الخدوش بالبودرة.. ولكنها بقيت ظاهرة. عادت إلى

مكتبها وهي شاردة الذهن فلملمت أغراضها، وخرجت بسرعة. وفيما كانت تغادر مكتب شاين سمعت نحيب فيكي التي كان يتحدث إليها شاين بلطف.

نزلت شيلا في المصعد إلى موقف السيارات، وخرجت من بابه، عمتة للظلال التي أخفت وجهها عن النظرات الفضولية. توقف باص في زحام السير في مكان قريب. صعدت إليه بسرعة وجلست تنظر إلى الخارج ذاهلة شاردة.

* * *

٩ ـ ألم بلا دواء

أقلها الباص إلى «ليشستير». عندما انتبهت إلى المكان الذي وصلت إليه قررت النزول منه والسير في حقول الخلنج الفارغة، تحت أشجار الخريف الجميلة المتمايلة. خاضت قدماها بحوراً من الأوراق المتساقطة التي تراوحت ألوانها ما بين الأحمر الشديد والبني الكئيب. كان حفيف الأوراق اليابسة التي تدوسها يتناهى إلى مسمعيها. قفز سنجاب رمادي أمامها. فتبعه زوج من العقاقير البيضاء والسوداء التي طارت بين غصني شجرة سنديان ضخمة وارفة الظلال.

استندت شيلا إلى جذع السنديانة، تحس بدفء الشمس الضئيل تحت الجذع. تحدق إلى ما حولها من الأشجار. الفراغ الذي احتواها حين انفجرت فيكي يغيرتها البائسة ما يزال مستولياً على كيانها. عليها الابتعاد، لا تدري لماذا ولكنها تستجيب فقط إلى واقع عميق يقول لها «اهربي»!

كان وجه فيكي الصغير يتلوى بالمشاعر، مشاعر الألم. ولم تكن شيلا قادرة على البقاء هناك لرؤية الألم في عيني الفتاة. وهكذا حركتها الشفقة والغضب، والخوف.

كان دفء العصر الخفيف يتلاشى، وفقدت السماء لونها تدريجياً. بدأت شيلا تحس ببرودة هواء الخريف.

كانت قد وقفت حيث هي بلا حراك حتى تجاهلت الطيور وجودها وعادت تسعى إلى التقاط قوتها قبل هبوط الليل، وثبت وطارت حول الجسد الشري بدون أن تعيره اهتماماً. وكان لتغاريدها فعل كئيب على نفسها.

فكرت في الوضع الذي وجدت نفسها فيه. لقد تجنبت منذ أسابيع اتخاذ أي قرار حاسم، مع أن حاجتها إلى مثل هذا القرار كان واضحاً لها ولكنها فضلت ترك الأمور على حالها بانتظار الهجوم المتوقع الذي سيأتي يوماً ما. ومع ذلك فضلت التريث بدلاً من الهرب.

تنهدت تنهيدة عميقة، عليها أن تهرب. أليس هذا ما عرفته منذ زمن بعيد؟ كان شاين يعرف نعم المعرفة مدى استجابتها له، لم تكن تعرف لماذا يلعب لعبة الانتظار، ولكنه أوضح أنه عاجلاً أو آجلاً سيأخذ ما لن تستطيع أن تحول دونه يوماً. تلوى وجهها بابتسامة قلق.. ولكن متى منعته عن شيء أراده. وهذا اعتراف مؤلم، فمنذ اليوم الأول الذي التقيا فيه عرف أنه قادر على إخضاعها بلا مقاومة تذكر.

كان تصرفه يحيرها حتى تمنّت يائسة لو تستطيع فهمه. وبما أنها فشلت في معرفة غايته وجدت أن لا خيار أمامها سوى الرحيل بسرعة إلى أبعد مكان قبل أن يلحق بها، فهي لا تشك في أنه سيلحق بها. ومهما كانت الأسباب التي تكمن وراء تأخره للاستيلاء على ما يدعوه بحصته الخاص، فهي ليست واهمة لن يسمح لها بالرحيل.. وعليها أن تهرب قبل أن يدرك ما تنويه.

حين تحركت في مكانها أخيراً كان المغيب قد ولّى.. استقلت الباص عائدة إلى منزل تود، ونظرت إلى المنزل بحذر. لم يكن هناك أثر لسيارة شاين في الخارج ولكنها تعرفه خبيثاً وغادعاً فقد يكون في الداخل بانتظارها حتى وإن لم ترى أثراً ما يدل عليه.

فتحت ببطء الباب فلما تناهت إلى خياشيمها رائحة دخان التبغ انتفضت ونظرت إلى الغرفة. في المنفضة رماد سكائر. فتشت بسرعة الغرف الأخرى. ثم تنفست الصعداء حين لم تجده. كان هنا.. فكم بقي منتظراً.

أقفلت رتاج الباب بسلسلة حديدية صغيرة. ثم شرعت توضب حقائبها.. أمضت نصف ساعة في جمع ما تحتاجه، وأدركت أنها ستحتاج إلى تاكسي يقلها إلى المحطة.

كانت تنوي التوجه إلى بادفور.. ولكن بعد لأي من التفكير أدركت أن شاين سيجدها هناك بسهولة فبحثت في أعماق أفكارها عن بدائل حتى تذكرت عمتها هيلين الشاطئة في هارمشاير. إنها قريبة نادراً ما تراها، ولكنها على علاقة حميمة معها وستوفر لها العمة هيلين الملجأ المؤقت حتى تجد عملاً وشقة لها هناك.. وسيجد شاين من الصعوبة أن يقنع والديها ليكشف مكانها.

مع ذلك، وقبل أن ترحل قررت التحدث إلى تود وزوجته، لتعتذر عن رحيلها المفاجيء الذي سيسبب لهما الاضطراب.

اتصلت تطلب سيارة الأجرة فوعدوها بأن تكون عندها بعد عشر دقائق ثم نزلت لتتحدث إلى السيد والسيدة تود.. استطاعت سماع صوت التلفزيون في غرفة جلوسهما. ودقت الباب.. نظر إليها تود بتوبيخ غريب.

ـ أين كنت شيلا؟ كان شاين هنا يبحث عنك.. انتظرك ساعتين. ولكنه اضطر إلى العودة إلى المكتب.. لقد بدأ الإضراب. إن موظفي المحاسبة والأرشيف توقفوا عن العمل ويبدو الأمر سيئاً. فإن دام هذا الإضراب مدة طويلة فقد يدمر المؤسسة، وشاين قلق جداً..

نظرت شيلا إليه بقلق.. كان الصراع مع العمال في الشركة دائراً منذ أسابيع. وشيلا تعرف جيداً خلفيات الإضراب.. ولكنها لم تكن تتوقع حدوثه.

لاحظت السيدة تود قلقها فلمست ذراعها:

ـ كان هنا حين اتصلوا يبلغونه خبر الإضراب، وبدا متعباً جداً. إنه يحتاج إليك.

نظرت شيلا إلى وجه المرأة العجوز، فقالت السيدة:

ـ عودي إلى المكتب شيلا.. إنه يواجه متاعب كثيرة حالياً فلا تزيدي الأمر عليه سوءاً.

تهاوت كتفا شيلا استسلاماً وهزت رأسها بدون أن ترد. كان التلفزيون يذيع النبأ، فجأة شاهدت صورة مبنى الشركة الدولية للمصارف وسط بحر من الوجوه الغاضبة الصائحة وشاين الذي كان يشق طريقه بصعوبة بينهم. كان الإرسال الضعيف يغشي صورته وكأنه يبعد مئات الأميال ولكن رغم ضعف الإرسال استطاعت أن ترى قلقه وتوتره.

كان تود وزوجته صامتين، يراقبان التلفزيون باهتمام يماثل اهتمامها. بعد ذلك انتقل مذيع الأخبار ليذيع خبراً جديداً، فنظرا في وقت واحد إلى شيلا.

وصل التاكسي في تلك اللحظة، فسارت شيلا إلى الباب مع السيدة تود.

التي قالت لها بصوت منخفض :

ـ تأكدي أن يتناول شيئاً شيلا . . لا أعتقد أنه يفكر في الطعام وعليه سيكون كوب حليب أفضل من لا شيء .

بدا أن التاكسي لن يصل إلى هدفه أبداً بسبب ازدحام السير الخانق. جلست شيلا على حافة المقعد، تتمنى لو تتحرك السيارة بسرعة أكبر . . لقد تبخر ذعرها ومخاوفها، حالما شاهدت وجه شاين المتعب على التلفزيون. ومهما كان الأمر مؤلماً بالنسبة لها عليها أن تكون معه فيما إذا احتاج إليها. لقد مرر يده على عنقه، بإشارة معهودة منه تدل على التعب، وخفق قلبها له بدون وعي حباً .

أغمضت عينيها تئن متألمة . الحب . آه يا الله ! أنا أحبه . . لقد تجنبت طوال سنوات وسنوات النفخ العاطفي الجميل الذي طالما كان منصوباً لها ووقعت فيه أخيراً بطريقة صاعقة . الرغبة المجنونة التي شعرت بها منذ لقائهما الأول كانت أمراً منفصلاً، فالرغبة ليست خطيرة كالحب . قد تذل الرغبة صاحبها وتقلقه وتغضبه ولكنها لا تجرحه كما يفعل الحب . الحب هو الألم الذي لا شفاء منه والذي كان يدفعها باستمرار منذ أيام إلى حافة الجنون، بل منذ أسابيع . ولكنها رفضت حتى أن تعترف به لنفسها، لأنها تخافه .

طلبت من التاكسي أن ينزلها أمام مدخل موقف السيارات، وسارت من هناك إلى المصعد لتتهرب من رجال الصحافة المتحلقين حول المدخل الرئيسي . حين وصلت إلى الطابق العلوي واجهت جواً متوتراً . كانت فتاتان تجلسان في قسم الطباعة، تتحدثان ؛ والباقيات ذهبن إلى بيوتهن .

هزت شيلا لهما رأسها تحييهما بصمت وأحست بنظراتهما الفضولية المذهولة إليها . توقفت في مكتبها ترتب شعرها وتتأمل مظهرها . كان لديها ميل غريب للظهور بشكل مرتب . كانت الخدوش التي أنزلتها بها فيكي على وجهها قد احمرت فموهتها بأفضل طريقة . أثناء وجودها في شقتها غيرت ملابسها وارتدت بذلة سوداء ضيقة وقميصاً أبيض حريرياً ذا ياقة مستديرة أضفيا عليها مظهراً هادئاً أنيقاً .

حالما شعرت بأنها قادرة على المباشرة بالعمل فتحت باب غرفة

الاجتماعات فوجدت الجو غائماً بالدخان، وكان شاين يجلس على رأس الطاولة الطويلة رافعاً أكمام قميصه وفاتحاً ياقته التي بانت فوقها ربطة العنق المفكوكة . كان الرجال متحلقين حول الطاولة وعددهم يقارب العشرة .

عندما دخلت بهدوء، رفع شاين بصره إليها، فبدا متوتراً مرهقاً . اتسعت عيناه لحظة دخولها، كان يتكلم ولكنه توقف عن الكلام فجأة فأدار الرجال رؤوسهم إليها .

تحركت بدون أن تتكلم إلى ما وراء شاين لتجر كرسياً جلست عليه بعدما وضعته وراء شاين تماماً . نظر إليها بسرعة، وبدا لها أن توتره وقلقه قد تلاشيا ثم التفت إلى الرجال ليعود إلى محادثتهم .

تعرفت شيلا إلى بعض من كان موجوداً . الأب الروحي لموظفي الشؤون المالية رجل ضخم مربع الوجه بدا مصغياً بهدوء إلى شاين ؛ وكان في مواجهته يجلس أحد المدراء التنفيذيين في الشركة . أما الأقرب إلى شاين فكان هيكتور وست الأب الروحي للقسم الذي أعلن الإضراب، وبدا العناد والتوتر واضحين على وجهه .

نظرت شيلا سراً إلى ساعتها، إنها التاسعة . . هل أكل شاين شيئاً منذ الغداء؟ وهل أكل الباقين شيئاً؟ نظرت إلى الطاولة فوجدت فناجين قهوة وأكواب ماء فارغة بين الأوراق والأقلام ودفاتر الملاحظات، أما الطعام فلم تجد أثراً له .

كان هيكتور وست يتحدث بحرارة، والعرق يتصبب على جبينه . وضع شاين مرفقيه على الطاولة، يصغي إليه، فكتبت شيلا ملاحظة مررتها إليه سراً . . قرأها واستدار إليها بهز رأسه .

هبّت من مكانها وتوجهت إلى مكتبها لتتصل بالكافتيريا طالبة السندويشات والقهوة والمرطبات إلى غرفة الاجتماعات . حين وصلت الطلبات بعد عشر دقائق، ساعدت النادل في نقلها إلى غرفة الاجتماعات وتوزيعها، وتلقت نظرات شكر من الرجال لرؤية الطعام . وبدأ الجميع يأكل، ويتحدث . وحذا شاين حذوهم وكانت قد طلبت له كوب حليب بارد، حين وضعته أمامه اعتلت وجهه نظرة كراهية وأبعده عنه . ولكنها عادت فأدنته منه

بهدوء. توقف هيكتور ويست عن الكلام يراقبهما، فنظر شاين إلى شيلا شذراً.. وعلى وجهه تعبير متجهم. فقابلت عيناها الزرقاوان نظرته بهدوء ثم أذعن فالتقط كوب الحليب بوجه كئيب، وشربه دفعة واحدة. ضحك هيكتور ويست فجأة، وانفجر الباقين بالضحك أيضاً. فنظر إليهم شاين نظرة تأنيب.

ساد توقف قصير.. وكأنما تلك الحادثة الصغيرة أفقدتهم جميعاً توازنهم، ثم عادت المفاوضات الصعبة ثانية. فجلست شيلا ثانية في مقعدها تصغي وتراقب انحناءة كتفي شاين القلق.

مرت الساعات، وارتفعت الأصوات ثم انخفضت.. وازداد ثقل الجو المشبع بالدخان، وبدا على هيكتور ويست أنه سيصاب بأزمة قلبية في أية لحظة فقد كانت عيناه كبركتي دم بسبب نقاشه الحاد.

كانت الاتفاقات العمالية مرسومة على أساس ما قررته الحكومة ولكن اتحاد عمال المؤسسة رفضها، وأصر على إنفاق منفصل يكلف مبلغاً كبيراً من المال.

بدا هيكتور ويست عازم النية. ومع ذلك استطاعت شيلا أن تلاحظ أن الاتحاد العام لا يدعمه، فالعمال عامة سيتضررون من استمرار هذا الإضراب.

عند منتصف الليل قدم شاين تنازلاً رفضه هيكتور ويست بغضب.. وفي الواحدة أعاد شاين تقديمه ثانية محسناً قليلاً هذه المرة فقالت لجنة الاتحاد المفاوضة إنهم يرغبون في مناقشته فيما بينهم.

وقف شاين:

ـ ابقوا هنا.. سنترككم نصف ساعة، أتصور أننا جميعاً بحاجة إلى الراحة.

سارع سائر المديرين إلى الهاتف يعتذرون من زوجاتهم وعائلاتهم عن التأخير. أما شاين فدخل إلى مكتبه، وجلس على مقعده، يضع رأسه بين يديه. نظرت شيلا إليه بصمت، تتألم حباً.

دارت حوله ووقفت خلفه وشرعت تدلك عضلات عنقه المتشنجة بأناملها الناعمة، فتأوه.

ـ آه، هذا رائع!

نظرت إلى رأسه الأسود المحني وتعقبت نظرتها الخصلات الرمادية فيه.. كم يا ترى يستطيع تحمل مثل هذا العبء؟

قال لها فجأة وصوته مخنوق بين يديه:

ـ ظننتك رحلت.

تابعت التدليك بصمت، تحس بتوتر عضلاته التي راحت تنزلق بسرعة بين أصابعها.

ظهر رجل بالباب، فأحست شيلا برجفة حذر لأنها تعرفت إلى فرانك مارشال، والد تيكي الذي هو رجل عريض المنكبين، في الخامسة والخمسين. كانت عيناه باردتين وهو يلاحظ العلاقة الحميمة بينها وبين شاين. توقفت يداها عن التدليك، فرفع شاين رأسه، وساد صمت متوتر.

سأله فرانك مارشال: «كيف تجري الأمور شاين؟»

ـ بشكل لعين!

ـ أهناك أمل بالتسوية الليلة؟

ـ الله وحده يعلم.

تجهم وجه فرانك مارشال.

ـ سيكلفنا هذا غالياً. لن نتحمل التوقيف.

سوّى شاين كتفيه المتعبتين: «لا».

أحست شيلا بعودة التوتر إليه، فتحركت أصابعها ثانية إلى عنقه، تدلك بلطف العضلات المتوترة. فجأة أرجع رأسه إلى الوراء يسنده على صدرها، فكاد قلبها يتوقف عن الخفقان. وتحركت عيناها إلى وجه فرانك مارشال.

كان ينظر إليهما متوتراً.. ثم تنحنح قليلاً وقال:

ـ حسناً شاين، إن احتجت إلى نصيحتي فأنا في المنزل. اتصل بي متى شئت!

هز شاين رأسه: «شكراً فرانك».

لهجته مؤدبة ولكن من الواضح أنه لن يطلب نصيحته. هز الرجل المجوز رأسه ثم رحل مغلقاً الباب خلفه. أغمض شاين عينيه ورأسه ما يزال مستلقياً على صدر شيلا، فتركت أصابعها تعبث بشعره بحنان عليها تهدىء

توتره، فانبعثت من شفتيه بعد قليل تنهيدة طويلة واسترخى جسده.

سألته بلطف: «أتود القليل من الشاي أو القهوة؟».

ـ تابعي ما تفعلينه فقط. إنه مريح جداً.

ابتسمت لنفسها وتابعت تدليك شعره. ازداد الصمت بينهما حتى خاله نائماً. كان يُسند ثقله كله عليها، وكان جسده الرشيق مستقراً وعيناه مغمضتين، أما خطوط التوتر على وجهه فمختفية.

فجأة رن جرس الهاتف بحدة، فانحنت تلتقطه. أصغت، أجابت، ثم أعادته.. استقام شاين وقد عادت نظرة القتال إلى عينيه وفمه.

قالت: «يريدون البدء من جديد».

هز رأسه:

ـ سأتوجّه إلى غرفة الملابس لأغسل وجهي وأمشط شعري، وساكون هناك بعد خمس دقائق.. حاولي إحضار المزيد من الطعام والقهوة شيلا.. أظننا جميعاً بحاجة إلى الطاقة.

أطاعته ثم دخلت إلى غرفة الاجتماعات.. كان الرجال متعبين. تقدمت شيلا من النوافذ تفتحها، ثم بدأت تنظف الطاولة من كل شيء إلا مما يحتاجون إليه.. راقبها الجميع وهي تتحرك، والفضول في عيونهم، كانت تعلم أن الجميع يعتقدها عشيقة شاين، لكن ما من دليل ظاهر على وجوههم.

حين دخل شاين إلى الغرفة بعد دقيقة من إنهائها التنظيف، بدا جو الغرفة أنظف وأنقى. وراح هواء الليل البارد يطرد الرائحة الحادة وشرع الرجال يرتبون أوراقهم المكدسة ويجلسون في مقاعدهم، والتجهم بعيد عن وجوههم.

جلس شاين في كرسيه متأهباً، فعرفت أنه غسل وجهه بماء بارد، فالنشاط كان يبدو مشرقاً من وجهه الشاحب، وشعره ممشطاً وربطة عنقه في مكانها، والقوة عادت إلى عضلات وجهه، والتعب زال.

وصل الطعام، وساعدت في التوزيع، وتناول الرجال الطعام بشراهة.. في هذه اللحظات نسوا المناقشات لأن جميع الحاضرين كانوا بأمس الحاجة إلى فترة راحة.. اختفى بعض مفاوضي الاتحاد فترة وجيزة ثم عادوا وهم أفضل

حالاً بقليل: غسل هيكتور ويست أيضاً وجهه بماء بارد فلم تعد جبهته تلمع بالعرق، ولكن خطوط التوتر كانت عميقة في وجهه كحالها في وجه شاين.

بعد تلك الوقفة بدأت المباحثات مجدداً. وجلست شيلا عند كتف شاين، أبعد بقليل من مجال نظره، تصغي.. مع مرور الساعات جف حلق شاين، وأصبح صوته متوتراً.. وفيما كان هيكتور ويست يتحدث، نظر شاين جانباً ثم رفع رأسه إلى وجهها فتسارعت خفقات قلبها، ثم التفت إلى ويست وقد زالت عنه بوادر القلق.

حينما أزيلت آخر العقبات بدأ نور الصباح يتسلل إلى الغرفة. وكان الرجال قد أقنعوا شاين بالتنازل، مع أن الجانبين كانا مضطرين للتخلي عن شيء ما كانوا مترددين في خسارته، خسروا بعض المال، ولكن انتهى الإضراب على الأقل.

شرع الرجال ينسحبون وأخذ شاين يدس أكواماً من الأوراق في حقيبة أوراقه وتناهب هيكتور ويست متمطياً فالتقت عيناه بعيني شيلا الهادئتين فسألها بلطف ورقة: «متعبة»؟.

ابتسمت له:

ـ مرهقة! ولكن نعمي لا يثارن بتعبكم سيد ويست.

ـ حسناً.. لقد حصلنا على شيء، وعصفور في اليد أفضل من عشرة على الشجرة.

نظر شاين إليه بطريقة غريبة قاسية.

ـ صحيح.. عصفور في اليد أفضل من عشرة على الشجرة.

ودعهما هيكتور ثم انطلق فأصبحت الغرفة خالية من الدخان وكانت الطاولة المليئة بالأوراق المشعثة هي الدليل الوحيد على المشكلة التي كانت قائمة.

قال شاين: «سأقلك إلى البيت».

تمتمت: «سأستقل سيارة أجرة».

ـ لا تجادليني شيلا بالله عليك.

لم تقل المزيد، بل خفت به إلى المصعد ومنه إلى موقف السيارات تحت

الأرض، وفيما كانا يهمان بالانطلاق إلى الخارج، شاهدت سيارة مليئة بالرفاق الذين كانوا في الاجتماع فراحت أنظارهم تلاحق سيارتهما المنطلقة.
لا يهم ما يقوله الجميع، بل ما يهمها هو شاين وهذه النظرة الكئيبة على وجهه التي تؤلمها عميقاً.

أوقف السيارة أمام منزل نود، وخرجت منها.. ولكنها انتفضت عندما نزل أيضاً ووقف ليواجهها. دفعت يده شعره إلى الوراء فقالت بقلق:

ـ شاين، تكاد تموت تعباً.. اذهب إلى المنزل لتنام.

ـ ما سأقوله لا يمكن أن ينتظر.

خرجت الكلمات متثاقلة وكأنها انضبت كل طاقته.. هي أيضاً كانت قلقة ومتعبة وغير قادرة على الجدال، ولحق بها إلى الشقة ووقف ينظر إلى حقائبها الموضوعة أمام مدخل الغرفة، فاحمرّ وجه شيلا.

استدار ينظر إليها ويداه في جيبيه، يقول بصوت واهن:

ـ كنت راحلة؟

نظرت إليه بدون أن ترد، ثم قالت: «سأعد لك الشاي».

هز رأسه موافقاً، فتوجهت إلى المطبخ وبعدما وضعت الغلاية على النار سألته:

ـ أتريد ما تأكله؟

دخل إلى المطبخ ببطء.. فلاحظت من طريقة تحركه أن عظامه مرهقة إرهاقاً يكاد معه لا يقوى على الوقوف.

قال بلهجة آمرة: «اغمضي عينيك».

ـ ماذا؟

ـ اغمضي عينيك.

أطاعته شيلا. هل سيقبلها؟ تعرف أنها أبعد من أن تنكر عليه شيئاً يريده.

أمسك بيدها، وأحست بأصابعه تتحرك على أصابعها، ثم لامس شيء بارد بشرتها، فتحت عينيها بذهول فوجدت في أصبعها خاتماً ألماسياً يخطف الأبصار.. نظرت إليه بدهشة.

راقبها شاين بعينيه المتعبتين بدون أن ينبس بكلمة، ابتلعت ريقها بصعوبة

وهي تحس بجفاف شفتيها.

ـ أتطلب مني الزواج شاين؟

لم تكن تتوقع هذا الطلب بل لا تصدقه. أحست ببرد غريب، فقال لها بصوت أجش:

ـ كنت لي منذ يوم لقائنا الأول. ألم أقل لك إنني سأدمغك بدمغة وود، وهذا ما يجعل الدمغة رسمية.

حاولت عيناها اختراق القناع الحصين:

ـ وفيكي مارشال؟

هز كتفيه للسؤال:

ـ لن أتزوج طفلة في مثل سنها.. بالله عليك شيلا، عرفتها منذ كانت طفلة صغيرة.. صحيح أنني متعلق بها ولكنها لن تكون زوجة مناسبة لرجل في مثل عمري، فهي ما تزال في سن المراهقة.

بدأت الغلاية تصدر أصواتاً فتحركت لتحضر الشاي:

ـ أتريد بعض التوست معه؟

تتأوه:

ـ يا الله، أنا متعب تعباً لا أكاد معه أقوى على فتح عينيّ. يكفيني الشاي وحده.

جر قدميه عائداً إلى غرفة الجلوس، وسمعته يرمي نفسه على الأريكة، فصبت الشاي بسرعة وحملته إليه ولكنه كان قد غفا على الأريكة.

وقفت شيلا تنظر إليه، وقد نسيت تعبها.. بدا لها عجوزاً، تقريباً. فكرهت الزمن الذي سرقه منها ليحفر هذه الخطوط على وجهه. ركعت بهدوء أمامه فنزعت حذاءه ثم قلبته ليستلقي على الأريكة بطريقة أفضل. تمتم نعساً وهي ترفع رأسه لتدس وسادة صغيرة تحته. ثم غطته بعدة أغطية، وأطفأت الأنوار، وأوت إلى فراشها.

لم يكن لديها الوقت الكافي للتفكير في ما دفعه إلى طلب يدها، فقد حل عليها النعاس وكأنه ذئب كاسر. استسلمت إلى نوم عميق لم تستيقظ منه إلا في الساعة الثامنة على صوت جرس بابها الخاص. اندست بسرعة في روب

حريري، وركضت إلى الباب، أما شاين فكان ينفض عنه الأغطية، وشعره مشعث. وذقنه الناعمة تظهر وجهه متجهماً.

وقف نود بالباب وعلى وجهه نظرة قاسية. ضاقت عيناه على شيلا بشيء من الإحراج، ثم قال بلهجة رسمية:

ـ صباح الخير آنسة.

ردت بهدوء:

ـ لا أحتاج إلى أن تقلني إلى العمل هذا الصباح نود.

ظهر شاين الذي كان يمرر يده على شعره ويتثاءب تثاؤباً عميقاً. نظر نود إليه بعناد وقال:

ـ رأيت سيارتك في الخارج سيد وود.

برزت نظرة سخرية إلى عيني شاين، وسأل:

ـ ولم المواجهة الباردة نود؟

أسرعت شيلا لدفع السخط عن عيني نود فرفعت يدها تسأله:

ـ أيعجبك خاتمي نود؟

تغير وجه نود وعادت الابتسامة إلى عينيه.. ورأت أن السخط والقلق قد تلاشيا، ونظر إلى شاين:

ـ إنه رائع جداً.. مباركة خطوبتكما.

ابتسم شاين له ولكن العجرفة بانت في ارتفاع رأسه:

ـ شكراً لك نود. سأتق بك لنشر خبر الخطوبة. لقد حان الوقت ليعكس صانعو القيل والقال في «المصرف» نظرتهم للأمور.

نظر نود إليه بإمعان:

ـ أجل.. حقاً.. شاين.

حين رحل، نظرت شيلا إلى شاين وعلى وجهها تعبير قلق.

ـ ما كان يجب أن تمازحه بقصد الإزعاج، فأنا أحبه.

استدار مبتعداً:

ـ وأنا كذلك.. ماذا لدينا من فطور فأنا أتضور جوعاً؟

ردت بقلق:

ـ لم ننم سوى ساعات قليلة. كانت الساعة الخامسة عندما عدنا. عد إلى النوم قليلاً شاين.

ـ تعالي معي.

تورد وجهها عميقاً، ولم ترد. فأدار رأسه إليها، وعيناه تقومانها وسأل:

ـ هل كنت ستقبلين لو كنت أعني ما أقول؟

واجهت نظرته الساخرة بدون تردد: «أجل».

أمسك ذقنها بيده، ينظر إلى عينيها الزرقاوين.

ـ متى سنتزوج؟

ـ متى شئت.

التوى فمه: «ما هذا الخضوع يا شيلا وهل سيدوم طويلاً؟»

لم ترد، وبقيت تنظر إليه بهدوء، فأكمل ببطء:

ـ أنت لم تطرحي عليّ أية أسئلة، فهل ستطرحينها الآن؟

ـ لا.

ـ لماذا لا؟

ـ لأنني أقبل بما يحمله كل يوم بيومه.

ـ أهذه خطتك الجديدة شيلا؟

ـ أجل.

إنه يريدها وهذا هو ما تحتاج إلى معرفته لذا لم تعد مهتمة بأي شيء آخر..

تردد قليلاً، وكأنه على وشك قول شيء.. ثم هز كتفيه:

ـ ربما أنت على حق.. ماذا عن الفطور؟

تحركت شيلا إلى المطبخ، وبدأت بتحضير وجبة له. في الساعات الأربع والعشرين المنصرمة، بدا أن حياتها كلها قد انقلبت رأساً على عقب.. الألم والخوف والحيرة التي كانت تتملكها تلاشت.. إنها لا تفكر الآن إلا في حاجة شاين إليها، ولكن هل حاجته فقط حاجة إنسان إلى وجبة ساخنة أو إلى يد مهدئة على رقبته المتعبة، إلى أن يأخذ منها ما يريد مما هي مستعدة لإعطائه إياه بدون سؤال؟.. هذا بالضبط ما أدركته حينما شاهدته على التلفزيون في الأمسية السابقة.. سعادتها في العطاء، ستكتشفها.. ماذا قال لها هيكتور ويست بالأمس؟ عصفور في اليد أفضل من عشرة على الشجرة.

١٠ ـ ظلم الحبيب

تزوجا بعد شهر من تلك الليلة . . لكن شيلا شعرت بوهم غريب، وهما يبتعدان عن حفل الاستقبال. كان شعرها الأشقر الناعم مسرحاً تسريحة رائعة فوق المعطف الطويل الأزرق المزين بإطار من الفراء. كان الخريف قد أفسح الطريق أمام الشتاء. بدت الأشجار التي مرا قربها عارية وكان النهار بارداً رغم أشعة الشمس التي أضفت بعض اللون على النهار. في الحقول شاهدت الحدود المسيجة بالوشائج، وكأنها قطن أسود مرصوص، والضباب الرمادي يظللها بعباءته.

لم تتح لها فرصة للتفكير بإمعان في الأسابيع المنصرمة، فخبر خطوبتهما أثار الكثير من الهرج، في الشركة بل في البلاد. . كان عليهما زيارة أبويها اللذين أبديا ذهولهما، وهما يرحبان بشاين، وبعد ذلك كان عليهما زيارة عائلة شاين في بوركشاير. أحست شيلا بتوتر لا يصدق وهو يسير بها عبر الطريق الداخلية نحو واجهة المنزل التي طالعتها أناقته الهادئة فقد كان المنزل قابعاً وسط مروج ومساكب أزهار. . نظر إليها شاين نظرة ممعنة وهو يوقف السيارة، ثم أمسك يدها بحزم، بلمسة مطمئنة.

كان والده صورة مكبرة عنه. وهو لطيف، دمث، ساكر، ثاقب النظرات. . وكانت والدته امرأة أنيقة، رقيقة الوجه في الستينات من عمرها، تحافظ على مظهرها وتتصرف بهدوء. وأحست شيلا أن أياً منهما لم يكن مبتهجاً بالخطوبة، ولكن تصرفات شاين المتملكة لها أظهرت بوضوح لهما، أن كل شيء قد تقرر مهما كانت مشاعرهما تجاه الأمر.

أحست بالراحة عندما تركت منزل والديه. في الواقع لم يبد أي منهما سوى اللطف، ومع ذلك كان الجو مشحوناً ومثقلاً بشكوك لم ينفوه أحد بها.

كان والدا شيلا أكثر دفئاً، احتجا قليلاً على سرعة تخطيط شاين، لكنهما وافقاه الرأي حين أوضح أنه غير مستعد للانتظار. . وأقيم الزفاف في منزلها

بالطبع. لم يصدق والداها قرار شيلا بالاستمرار في العمل مع شاين الذي دعم قرارها بحزم علماً أنها توقعت معارضته ولكنه أحنى رأسه موافقاً. إنها تريد أن تكون معه طوال اليوم، ففكرة تركه مع امرأة أخرى أثناء ساعات العمل الطويلة فكرة لا تطاق.

بقيا مشغولين كثيراً في تلك الفترة، فقد استمر الصراع الدائر بين الاتحادات والإدارة بشكل يومي، حتى أن شيلا كادت تنسى موعد الزفاف المقبل بسرعة أحياناً، ومع أنها كانت ترى شاين كثيراً خارج المكتب إلا أن الدفء الحميم كان غائباً عن لقاءاتهما. كان يصطحبها إلى العشاء ثم يقلها إلى شقتها حيث يصغي معها إلى الموسيقى، ولكن غزله ومداعبتها غابا عن علاقتهما.

تولى نائبه شؤون العمل أثناء شهر العسل لذا تأكدت شيلا من معرفة سكرتيرة الرجل بكل ما تحتاج أن تعرفه. . ثم مساء الجمعة انطلقت مع شاين إلى بادفور.

بقي شاين في فندق قريب لقضاء ليلته؛ وأمضت شيلا الليلة بهدوء. مع أن أعصابها كانت تقفز بحدة وهي تتقبل واقع ما سيحدث في اليوم التالي. . فبكي مارشال، كانت قد سافرت إلى أميركا قبل أسابيع، ولم يأتيا على ذكرها قط، وتساءلت شيلا عما ستقوله أليشا حين تعرف الخبر، ولكنها دهشت لما تلقت هديتها وبطاقة التهنئة. أوضحت الرسالة القصيرة أن الفتاة تغلبت على محنتها ونسيتها مع أن ذهولها لانقلاب الأحداث كان واضحاً غير أن شيلا أدركت أن زواجها لن يؤلم ابنة عمها وهذا ما أسعدها.

تأمل شاين الهدايا التي تلقياها في حفل الاستقبال، ورفع حاجبيه إليها لما لاحظ إناء الورد الفضي الذي تلقته من باول، فارتفع احمرار وجهها. وأحست أن باول لم يتغلب بعد على جرحه، وكان في بطاقة تهنئته غيرة ساخرة.

حين تقدمت إليه في المذبح بدا جسدها النحيل رشيقاً في الفستان الحريري المطرز. تلألأت شمس الشتاء فوق شعرها الذهبي تحت البرقع الكبير الذي رأت من خلاله وجه شاين القاسي وهو يلتفت إليها. كانت تحس بالبرد، واشتدت أصابعه على أصابعها حين أمسك يدها أثناء مراسيم الزفاف وكانت

واعية كل الوعي لاستسلامها الكامل له. فبدءاً من هذه اللحظة وحتى آخر العمر ستكون ملكه.. نظرت إليه من بين رموشها، وتساءلت عما يفكر فيه صاحب هاتين العينين غير المقروءتين.

طلب منها شاين أن تختار مكان شهر العسل، وقررت ألا يسافرا إلى الخارج، فمتطلبات العمل تجبرهما على اختصار شهر العسل بأسبوع واحد فقط. واحتج والداها على قرارها ولكن شاين وافقها الرأي وفضل الاكتفاء بأسبوع عسل يقضيانه في منزل يملكه ابن عمه المسافر والمنزل يقع في عمق يورك. في المنزل زوجان يهتمان به سيعتنيان بهما وهما يقيمان في كوخ في الأرض التابعة للمنزل، لذلك لن يزعج وجودهما العريسان.. وأضاف يقول لأبويها:

ـ يمكننا السفر إلى الخارج في الربيع، فمما لا شك فيه أن شيلا ستستمتع بالقيام برحلة إلى نيوزيلندا، وسأتمكن عندئذ من السفر وبالي مرتاح.

فيما كان يتجهان إلى يورك نظرت إليه شيلا بقلق. كانا قد قضيا معظم الشهر المنصرم معاً، ساعة بساعة ولكنهما كانا بعيدين جداً عما يكون عليه خطيبان.. فالعمل كان يربطهما أكثر من رباط الحب. كان يتشاركان اهتماماً ملزماً بما يعملان. وازداد اعتماد الواحد منهما على الآخر، في اتخاذ القرارات اليومية، مهما صغرت.

تذكرت هجمات شاين عليها في بداية تعارفهما، فأصابتها الحيرة من هدوئه الحالي.. لم يحاول أن يغازلها أو يداعبها منذ وضع الخاتم في أصبعها، وهذا ما أربكها وأقلقها.

وصلا إلى المنزل حيث استقبلهما الزوجان اللذان سارعا يعرفانهما إلى أرجاء المنزل وبعد ذلك تركاهما ولكنهما قبل ذلك كانا قد أعدّا للعريسين وجبة طعام شهية، تناولاها في غرفة الطعام الفخمة على ضوء الشموع المرتعشة ولكن تصرفاتهما بدت رسمية بشكل غريب.

فيما بعد جذب شاين وعاء القهوة إليه ونظر إليها:

ـ اذهبي إلى الفراش شيلا، سأتناول فنجاناً آخر وألحق بك.

أطاعته بدون أقل احتجاج وفي الغرفة الدافئة، الوردية الجدران، خلعت

ملابسها واستعدت للنوم وكأنها امرأة آلية لا تفكر. عندما جهزت نفسها تقدمت إلى الفراش، ثم توقفت لأنها شعرت برجفة ألم تنطلق في جسدها، فوقفت أمام السرير ويدها البيضاء تتعلق بالغطاء الحريري السميك.

دخل شاين إلى الغرفة، ولاحظ توترها، فسألها:

ـ ماذا بك؟

أشاحت وجهها عنه: «لا شيء».

تقدم إليها ليجبرها على النظر إليه فشاهد الدموع في مآقيها، فسألها متوتراً:

ـ لا تكذبي عليّ، أخبريني.

همست: «اتركني شاين أنت تؤلمني».

أمسكها بكتفيها يهزها: «أخبريني شيلا».

أحست بتهور مجنون يدفعها إلى الفرار، فقاومته بشراسة وغضب.. فقدت يداه فجأة السيطرة عليها، فهمّت بالفرار ولكن أصابعه أمسكت بمعصميها.. فشدت يديها لتتحرر منه وتلوى جسمها النحيل في قبضته. حدق إليها بذهول وعيناه تومضان لرؤية كتفيها وذراعيها العاريتين، ولمعان بشرتها البيضاء تحت حرير ثوب النوم العاجي، وسألها بغيظ:

ـ أتشعرين بالتردد شيلا؟ يمكنني تغيير هذا بسرعة.

قاومت يائسة لإبقائه عن ضمها إلى ذراعيه ولكنها لم تكن تمتلك قوة، والأنكى أن لمسات يديه جعلتها ترتجف، فأدارت وجهها عنه شاهقة وأخذت نبضاتها تتسارع بعنف.

اندفعت تبعده بيديها ولكنه أمسك برأسها بين يديه حيث أحاط شعرها الناعم بأصابعه.. نظرت برهبة إلى فمه وهو يتقدم إليها. فجأة تلاشت كل مقاومتها، فرمت ذراعيها حول عنقه، وشدته إليها.. فضحك، وقال بصوت أجش:

ـ هذه معركة سأربحها دائماً، أليس كذلك شيلا؟

سعت لتنضم إلى صدره بلا تردد، تحس بالعذاب، وتعرف أنها لا تريد هذا النوع من الحب الجسدي السطحي. إنها تريد الحب نفسه، ولكن ما دام هذا

ما يريده شاين، فستعطيه إياه، مهما آلمها ذلك.

ارتدّ رأسه إلى الوراء، وضاقت عيناه عليها والرغبة تومض في عمق عينيه.. وقال مضطرباً:

ـ انتظرت هذه اللحظات منذ أشهر.. فهل أخصن لي شيلا؟

ردت مرتجفة:

ـ تعرف أنه لك.. لا تعذبني هكذا.. لماذا انتظرت طويلاً؟ أمصمم أنت على أن أجثو أمامك أولاً؟.. لا تكرهني على الاعتراف شاين بالله عليك.

كان وجهها دفيناً في عنقه فتسمّر فجأة، والتفت يده في شعرها يجذب رأسها إلى الوراء حتى واجهته نظراتها. وسألها بوجه شاحب:

ـ ما الذي تريدين ألا أكرهك على قوله.. شيلا؟

أطلقت صيحة ألم يائس:

ـ تعرف جيداً. لقد حذرتني يوماً أنك قادر على إجباري على الاستسلام التام. أنت ظالم، عدو لا شفقة في قلبه.. آه، يا إلهي.. لماذا وقعت في حبك؟

ازدادت نظرته عمقاً إلى عينيها المغرورقتين بالدموع، وبدت على وجهه عاطفة عنيفة، وقال بحدة:

ـ كرري هذا مرة أخرى.

تآكلها إحساس يائس بجنون. فأرادت أن تضربه، أو تصرخ، أن تتصرف بطريقة مغايرة لطبيعتها.. أرادت أن تفعل ما يريح عذابها العميق. قالت بمرارة:

ـ حسن جداً شاين. لقد انتصرت فما الفرق؟ أنت تعرف أنني مجنونة بحبك. وهذا بالضبط ما كنت تنتظر سماعه وها أنا أعترف به.. كنت طوال تلك الأسابيع التي كنت فيها تتلاعب بي، تلعب لعبة الانتظار، حتى تسمع مني في النهاية اعترافي بالحب.

التفت ذراعاه حولها بتشنج وضغط رأسها على كتفه ووضع يده على مؤخرة رأسها دليل تملك. ثم شعرت بجسمه يرتعش بين ذراعيها وبقلبه يخفق بجنون. ثم سأل مرتجفاً وشفتاه مدفونتان في شعرها:

ـ منذ متى وأنت تحبينني هذا عني؟ يا إلهي شيلا.. لقد توقفت عن الأمل

بحبك. ألا تعلمين أنني أحببتك بجنون، منذ وقع بصري عليك؟

جعلها عدم التصديق تتصلب بين ذراعيه.. تحركت يداه إليها باضطراب وهمس في أذنها:

ـ نظرت إليك نظرة واحدة يوم دخلت إلى الفندق، وأحسست وكأن القدر ركلني على أسناني. نظرت إليك فتمنيت لو تنظرين إلي، لأنني سرعان ما أيقنت أنك لي.. لم أستطع أن أقبل بأن يكون ما أشعر به من طرف واحد.. ثم تظلمت عيناك الجميلتان إلي وكأنني غير موجود فصدمت. حدقت إليك فلاحظت كيف يعجز الرجل الذي برفقتك عن الاحتفاظ باهتمامك مثلي تماماً.. يا إلهي كنت باردة كالجليد، فاحترقت بأتون الغضب وجننت جنوناً جعلني أتمنى لو أمحو هذه النظرة الباردة عن وجهك.. ولكنني طوال الوقت، ورغم غضبي لم أفكر إلا في أن أضمك بين ذراعي..

كان قلبها يخفق بإثارة بطيئة ثقيلة.. أصغت إلى كل كلمة قالها بافتتان متصاعد وهي لا تكاد تصدق ما تسمعه. لقد دفعها بكلمات قليلة من درك اليأس إلى قمة السعادة.. فوضعت يديها على وجهه، تدير رأسه لتقرأ ما في عينيه.. فإذا السخرية والخشونة والقسوة قد تلاشت وحل محلها ألسنة لهب كانت تقفز إليها من ناظريه السوداوين.

حبست أنفاسها ثم تأوهت تغمض عينيها: «شاين».

وانفجر جوعها إليه مثلاً من عقاله، الذي أرادت أن يصمد طويلاً وراح جسمها يرتعش.

ـ أحبك شاين.. أحبك..

رد مرتجفاً وراحتاه الدافئتان حولها:

ـ يا أعز الناس.. كرري هذه العبارة، كرريها.. لقد انتظرت طويلاً لأسمع هذه النبرة في صوتك.

بقيا مستلقين، وكانت تسمع دقات قلبه تخفق قرب دقات قلبها. وتشعر بهالة حريرية تدثرهما وتجعلهما مسترخيين كل الاسترخاء وفي هذه الأثناء لم تحاول شيلا أبداً مقاومة هذا الإحساس.. ولم تعد قادرة على التفكير. لقد حصنت نفسها لأسابيع بحصن منيع وها هي الآن تترك كل شيء وراءها.

حين استيقظت كانت ما تزال بين ذراعيه، وجهها في صدره، تسمع خفقات قلبه الرتيبة وتلاحظ عيناها الناعستان ضوء الصباح الرمادي الذي ينير الغرفة. ابتسمت تنظر إلى شابن بعينين متراقصتين.. ويبدو أن حركتها الخفيفة على صدره أيقظته.

تمدد بكسل، فدفعتها حركته إلى الارتجاف. فنظر إليها، وابتسامة ممازحة على فمه:

ـ أخيراً عرفت معنى كلمة «سيد كل ما أنظر إليه».

شدته بمحبة: «متوحش».

همس لها:

ـ شيطانة.. جعلتني أنتظر أشهراً كانت خلالها الغيرة تتآكلني.

ـ وكيف لي أن أعرف؟ كنت حريصاً على ألاّ أفهم أي تلميح.

ـ لم أكن أجرؤ على أن تفهمي تلميحاتي. حين لحقت بك إلى غرفتك جمدتني بنظرة واحدة غير مكترثة.. وحتى حين اكتشفت قدرتي على انتزاع التجاوب منك، كنت أعي بمرارة أنك مصممة على تجنب أي تورط عاطفي.

تذكرت خوفها منه في المصعد:

ـ هذا لأنني وجدتك مخيفاً.. ظننتك مجنوناً فاولاً أوقفت المصعد ثم أجبرتني على الخضوع لمداعباتك. كنت جبانة جباً كدت معه لا أتذمر من معاملتك تلك. آه شابن، ما كان أشد حبني. كنت أخاف أن أعترف حتى لنفسي بأنني وقعت في حبك.

مرر أصابعه في شعرها المسترسل على كتفيها:

ـ لم تعرفي قط مدى لهفتي لأقل اهتمام تبديه نحوي. حين خرجت مع باولوس كدت أجن من الغيرة، بل كدت أفضح نفسي تلك الليلة. ولكنني عرفت أنني لن أتمكن من إخفاء مشاعري إن تركت لنفسي الحبل على الغارب. ومع ذلك منعتك من الخروج برفقة أي رجل لأنني لم أستطع تحمل فكرة أن يلمسك أحد.

ابتسمت:

ـ كان هذا أمراً واضحاً. فقد حيرتني حين أجبرتني على الاعتراف بأنني

أريدك، ثم تركتني بدون أن تستغل الموقف.. ولم أستطع فهم تصرفك.

ضحك:

ـ ظننت نفسي واضحاً إلى درجة الإشفاق. انتظرت منك أن تقولي ما يظهر لي أنك فهمت. ولكنك لم تنفوهي بكلمة.

سألته بحذر:

ـ شابن. هناك ما يجب أن أخبرك به..

لاحظ القلق في صوتها، فنظر إليها بحدة:

ـ ماذا؟

ـ أتذكر الموظفة التي أغرمت بك فاضطررت إلى نقلها؟

قطب: «حسناً».

ـ كانت ابنة عمي.. وكنت قد سمعت كل شيء عنك قبل أن ألتقي بك ولم يكن ما سمعته عنك حسناً. ولذا كنت لا أرى فيك إلا الرجل الذي حطم قلب ألثيا بأنانيته وقساوته.. تصرفك معي في المصعد أثبت الصورة التي زُرعت في مخيلتي.

تأوه:

ـ يا إلهي! هكذا الأمر إذن؟ أنا لم أعبث مع تلك الفتاة بل رافقتها للعشاء ثم اشتريت لها الشوكولا والزهور لأنها عملت بجد ذلك الأسبوع معي. ولم يبد لي في ما فعلته ضير، ولكنها بدأت تدور حولي وتنظر إليّ بطريقة محرجة، في النهاية انتشرت الشائعات ولم يعد أمامي خيار سوى إبعادها عن مكتبي.

ـ أخبرتني مايفز بهذا ويبدو أن ألثيا تغلبت على غرامها بك. إنها فتاة رقيقة القلب.

عبس: «لم أرها في حفلة الزفاف».

ابتسمت: «لم تأت، كانت محرجة على ما أعتقد»

تفرس في وجهها البيضاوي:

ـ قلت لك مرة إننا متشابهان.. لم أكن أنوي جرح مشاعر ألثيا.. وأنت لم تنو أذية خطيبك. كلانا تصرف بدون حذر.

ـ هذا صحيح.. أليس الحب مرعباً شابن؟ كنت أرفض دوماً الوقوع في

الحب لأنه كان يخيفني جداً. . ولكنني اكتشفت فجأة أنني احبك، وقد اكتشفت مشاعري عندما كنت أخطط للابتعاد عنك.

سألها:

ـ أذلك في الليلة التي خدشتك فيها فيكي؟ لاحظت أن هذا أثر فيك كثيراً. فقد ابيض وجهك. . ولكنني بعدما تخلصت منها تصدت شقتك وانتظرتك كالمجنون. . وعندما لم تأتي شعرت باليأس ولكنني اضطررت للعودة إلى المكتب بسبب الإضراب اللعين. وفي المبنى كنت أجلس أحاول أن أفكر بجلاء في المشكلة في وقت لم أستطع فيه سوى التفكير في أنك في أحد القطارات متجهة إلى مكان لا يعلمه إلا الله، مكان لن أستطيع معرفته.

ـ وكدت أفعل.

ـ هذا ما عرفته حالما رأيت حقائبك تلك الليلة. . ولكن حين انفتح باب غرفة الاجتماعات، ودخلت، أحسست بالخوف والتوتر يتلاشيان. وعرفت في تلك اللحظة أنني لن أستطيع الانتظار حتى تقعي في حبي وأن علي أن أتزوجك قبل أن أفقدك إلى الأبد. . كنت قد بلغت مرحلة لم أعد آبه معها ما إذا كنت تبادليني الحب أم لا فكل ما كنت أخشاه أن أخسرك لأنني إن خسرتك سأشعر بأني لم أعد حياً أبداً.

دفنت وجهها في صدره مجدداً، وأخذت يده تمسح شعرها وتشد رأسها إليه أكثر. . قالت بصوت مختنق:

ـ عرفت أنني أحبك حين رأيتك على شاشة التلفزيون متعباً يائساً. . قالت لي السيدة تود إنك تحتاجني، وقال لي قلبي إنني أحتاجك. . لذلك جئت.

لف ذراعيه حولها وقال متأوهاً:

ـ أشكر الله على هذا. . لا أصدق أنني حصلت عليك أخيراً. . الأشهر التي أمضيتها منذ رأيتك أول مرة، كانت عذاباً لا ينقطع. . وما زادها سوءاً، معرفتي بأنني قادر على السيطرة عليك متى شئت. . والإغراء الذي واجهته كان جحيماً بالنسبة لي. قلت لنفسي إنني عاجلاً أم آجلاً سأمتلك قلبك وجسدك معاً. . ولكن بعد معرفتي بمحاولة فرارك، تخليت عن كل أمل

وقررت أن أرضى بما أستطيع الحصول عليه، وقلت لنفسي إن راوغتي قلبك، فسيكون لي جسدك. ولبئك تتصورين كم كانت الفكرة مرعبة.

تأوهت:

ـ بل أتصورها، فالليلة سيطرت عليّ الفكرة نفسها. آه، شاين حبيبي!

أمسك وجهها بين راحتيه:

ـ كيف سأتمكن من العمل معك في المكتب؟ لا أدري! ولكنني ما وافقت على الفكرة إلا لأنني أردتك معي طوال الوقت. . فكرت أنك بيقائنا معاً ستقعين في حبي تدريجياً وأحسست بالغيرة الشديدة عندما تصورت أن إنساناً آخر قد يلفت انتباهك ويحظى باهتمامك.

قالت بمرح:

ـ أكنت تخاف ألا أكون مخلصة لك شاين؟

تمتم بغيظ:

ـ لا تضحكي عليّ. اللعنة! حين أريتني خاتمك في المصعد أحسست بغيرة كادت تدفعني إلى ضربك. . كنت باردة متحفظة لذا استخدمت كل الحيل لأحطمك.

تذكرت عدم قدرتها على مقاومته، فقالت تؤنبه:

ـ وسرعان ما فعلت هذا.

ـ أشار لجاويك إلى أنني أؤثر فيك كما تؤثرين فيّ. . ولكنني سرعان ما أدركت خطئي. أزعجتك حتى أحصل على رد فعل منك، وفهمت أن بإمكانك التخلص مني بسرعة إذا عاملتك بجد. لذلك اضطررت إلى إزعاجك وإثارتك وإرباكك حتى استحوذ على اهتمامك. . كان عليّ بالحيلة أو بالشر أن أدفعك إلى فسخ خطوبتك.

التقطت نظرة غريبة في عينيه وقطبت. . فكشر وجهه لها:

ـ ما زلت تجهلين أمراً شبلا. . كنت في ردهة الفندق حين شاهدت خطيبك يقول لجماعته إنه متوجه إلى غرفتك. فصعدت إليك قبله على أمل أن تنجح الخطة، وقد نجحت فعلاً.

نظرت إليه ساخطة:

ـ إذن خططت لهذا فعلاً؟

ـ كانت خدعة حقيرة وضيعة، لكنني كنت أعلم أنك لا تحبينه، وكنت عازماً بجنون على إبعادك عنه ولقد تجاوبت كما كنت آمل، ودخل هو في اللحظة الحاسمة.

نظرت إليه مقطوعة الأنفاس، فابتسم بخشونة:

ـ اضربني إذا شئت، فهذه المرة لن أضربك. حين تركتك ذلك اليوم كنت أتباهى بنصري. وعرفت أنني دمرت خطوبتك وأن الميدان أصبح خالياً أمامي.. لذلك أرسلت لك رسالة أدعوك فيها إلى مقابلتي للعمل معي. كنت أتصور وجهك وأنت تقرأين الرسالة.. أردت أن تأتي.. لكنني كنت أخشى أن تمزقيها فقط.. وكنت ساعتئذ سأضطر إلى إيجاد طريقة أخرى للوصول إليك.. ولكن فكرة جعلك سكرتيرتي كانت تأسرني.

قالت معترفة:

ـ لم أستطع المقاومة. لقد أزعجتني، وأسخطتني، لكنك أثرت فيّ.

ـ هذا ما كنت آمله، لكن ما لم أفكر فيه هو صدقك. حين قلت لي إنك ذهبت إلى غرفته تملكني الذعر. ظننته اعتدى عليك، وعرفت أيتها القطة الظالمة أن هذا أصاب مني مقتلاً.

نظرت إليه بنعومة:

ـ أجل.. أعتقد أنني كنت أعرف هذا، فقد ابيض وجهك من شدة الشحوب.

ـ بل أحسست بالغثيان والصدمة. وجهت إليّ تلك الضربة متعمدة، ولكن عينيك لاحظتا ألمي.

كانت نظراتها خاضعة له وهي تقول:

ـ حبيبي ما أشد أسفي، لم أفهم ماذا دعاني إلى محاولة إيلامك ولكنني أردت رؤيتك تئن ألماً.

ـ أئن من الألم؟ كدت أموت من الألم! في تلك اللحظة عرفت أن عليّ إخفاء مشاعري عنك.. فما دامت رمية من غير رام مكنتك من جرحي إلى هذا الحد فماذا سيحدث إن عرفت أنني أحبك يائساً؟

مررت يديها على كتفيه، تداعبه بأناملها:

ـ أقسم ألا أعود إلى إيلامك بعد اليوم. شاين، دعني أبقى سكرتيرتك لأنني أريد أن أبقى معك دوماً. وأريد أن أعتني بك. أنت تعمل جاهداً، وبحاجة إلى من يحميك.

نظر إليها عبر رموشه السوداء:

ـ بإمكانك البقاء، في الوقت الحاضر إنما حتى تنتهي المرحلة النهائية من حربي الخاصة معك.

أحست بالخيبة والذهول.

ـ أنت تخيفني شاين.. ما هي المرحلة النهائية لحربك؟ ظننت أن الحرب انتهت ليلة أمس حين استوليت على الحصنين معاً؟

همس لها:

ـ إن أول ما يقوم به المحتل هو اجتياح الحصن. وبعد ذلك، عليه التأكد من أنه سيبقى له، بالإبقاء على حامية احتلال.

بدأت تضحك.

ـ أية حامية شاين؟

ـ حسناً.. يكفيني في البدء مجرد محتل واحد، يمكنك حتى تحملي طفلي بين أحشائك إدارة مكتبي ومنزلي في آن واحد. ولكن ما إن أعرف أنك حامل حتى ينتهي الأمر.. وعليك أن تختاري بديلة عنك.

ـ سأختار سكرتيرة في الأربعين من عمرها، كفؤة لا يمكن أن تنظر إليك مرتين.

ـ أيمكن أن أجعلك تغارين شيلا؟ أنت لم تغاري يوماً من فيكي؟ كنت أراقبك ولكنك كنت تنظرين إليّ ببرود واستهجان.

ـ لم تكن فيكي لك شاين.. كما لم أكن أنا لباول.. كنت أعرف أنك لا تحبها.. ولكن.. أجل، بإمكانك إثارة غيرتي إن أظهرت لي اهتماماً بامرأة.. كنت أعلم أنك لا تشعر سوى بالعطف على فيكي وهذا لا يجعلني أغار.. بل أشفقت عليها.

تجهم وجهه:

ـ كما أشفقت على خطيبك . . ولكنني أقسم بالله أنني شعرت بالغيرة منه ومن باولوس ، ومن كل رجل نظر إليك . لهذا سارعت إلى أن يعرف كل من لي المبنى أنك لي . أتظنين أنني لم ألاحظ كيف كان الرجال ينظرون إليك؟ كنت أريد إحاطتك بجدار عال . قولي لي مرة أخرى إنك تحبيني . أريد سماعك تقولينها . . انتظرت هذه العبارة أشهراً .

قبلت كتفه وفي عينيها حب :

ـ أحبك شابين . . ولقد عدت ليلة الإضراب لأنني عرفت أنك ستحتاجني ، وتزوجتك للسبب نفسه . مع أنني لم أصدق أنك تحبني . . وآلمني أن أصبح زوجتك وفي اعتقادي أنك لا تبادلني مشاعري . وعندما أقسمت قسم الزواج شعرت بأنني أسلمك نفسي إلى الأبد مهما كان ما تريد أن تفعله بي .

تنهد تنهيدة عميقة وأغمض عينيه ، وضمها إلى صدره بقوة وأمسكت يداه شعرها الحريري .

ـ وأنا أقبل الهدية ولن أتركك ترحلين عني . . أنت أخيراً لي .

واستسلمت بأمان بين ذراعيه ، تحس بالمستقبل يقبل منساباً انسياب الحرير بين أصابعها .

* * *

liilas.com/vb3
mjerko